

الباب الاول في العلماء

العلماء ورثة الانبياء . او كما اقول انبياء . لا يوحى اليهم . او كما يقول الناس
روءساء الدين . هم الملقى اليهم قياد العقول . هم المعهود اليهم ايجاد
الشعور والوجدان الحاكم . على كل محكوم وحاكم . هم الذين تلقى اليهم
فطرة الله التي فطر الناس عليها ليحيوها او يميتوها . هم الذين اعطوا الحكم
على الامة في الحقيقة وهم هم الملوك في الاسلام عند تحقيق النظر
العالم لا يكون عالماً حقاً الا ان ظهر اثر علمه في قومه وبلغ شريعة
ربه وكان في الامة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها من
جهة العلم والارشاد . العالم مسئول عن نفسه وعن غيره امام الله فلا
يكفيه ان يصلح نفسه دون ان يسعى في اصلاح قومه ايضاً . العالم
الحقيقي شمس مشرقة صاعدة من الافق الاعلى يرتبط بها كمال
الموجودات . وعين جارية يتوقف عليها امر الحياة * العالم هو الدواء
السريع والعلاج النافع والطبيب الحاذق الذي تصح به اجسام الامم
ونفوس الاشخاص . هو الذي يرتبط به كل سعادة وشقاء لانه الموكول

اليه امر العقائد والوجدانات والاخلاق والملكات والمبادي، التي
تسعد وتشقي وتثبت وتحبي . العالم هو الملك لان شعور الملك ومبدأه
وتكوين عقله ونظيره صورة من حال معلمه . الا ترى قصة معاوية ابن
يزيد حين تبرأ على المنبر من عمل والده وسالك من العدل تقبض
ما سلكه فاتهم اعوان الظلم معلمه بانه هو الذي دس له ذلك في تعليمه
وهو الذي ولعه بمحبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

العالم هو الوزير والامير والحارس والقاضي والكاظم وصاحب
الشرطة والزارع والصانع وهو الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة باجمعها
فان احسنوا او اساؤا فللعالم نصيب مما عملوا . ذلك لان كل انسان يعمل
على وفق مبدأه واستعداده والعلماء هم الموكلون اليهم امر هذه المبادئ وهم
بحسن وعظمتهم وكمال ارشادهم وقوة تأثيرهم قادرون على اصلاح تلك
المبادئ وافسادها . وعلى جلب الشرور وابعادها وهم هم الملقاة تبعة كل
تقصير عليهم والراجع كل خير اليهم لان من وظيفة القيام بين الناس
بالارشاد والاقتناع والوعظ وقوة التأثير حتى يوجدوا في الناس
ملكات ثابتة تفعل الخير ورغبة شديدة الى كل كمال . وعليهم ان يستعملوا
عقولهم في ايجاد الطرق المتنوعة والاسباب التي يمكن ان يصل اليها

العقل الانساني (ولا حده) المودية الى مقصودهم بلا فتور ولا كسل
العالمية عبي : تقبل ومرتبة شاقة الاعمال كثيرة المتاعب . اذا
وجهت الى عبد من عبيد الله فحق عليه ان لا يفرح من اجل انه رقى
بين الناس منصراً باهله لان يتصدر وتقبل يده مثلاً . بل عليه ان ينكر
وينظر ويدعو الله ان يوفقه لاداء واجباتها والقيام بمهمات فانما وجه
اليه امر عظيم لا يقوم الانسان بحقه الا بتعب جسمه وعقله وان اهمل
كان من اسفل السافلين

العالم اذا اصبح اصبح مجاهداً في سبيل الله ولا كن لا بالسيف
والحرب المعروفة بل بسيف اقطع وسلاح امضى الا وانه قوة الفكر
وفصاحة النطق يقضي بهما ما شاء الله ان يكون وعظماً وارشاداً وتعليماً .
بيما تجده في درسه يقرر خفيات المسائل في العلوم المختلفة تجده قد
خرج بخاطر الناس على اختلاف طبقاتهم كانه واحد منهم يرشد هذا
بالعبارة وذاك بالإشارة . هذا بالاحاديث وهذا بالآيات هذا
بالحجج العقلية وهذا بالمشاهدات والمكتشفات . طوراً يستشهد
بحال الصحابة والتابعين . وطوراً بحال فلاسفة اليونان وحكماء
الاوروباوين . وبينما تجده مع الملوك والامراء في قصورهم تجده مع

الفقراء في اكواخهم ومع التجار في حوانيتهم ومع الزراع في حقولهم
لا تفتقر له حمة ولا يتراخى له عزم ولا يزال يتفنن في طرق التعليم
ووسائل الارشاد كما يقتضي الحال . يخاطب كل انسان بلغته وعلى
قدر عقله وبالاسلوب الذي يناسبه . لا ينتظر ان يأتي الناس اليه ولا كن
هو يسعى لكي يعلمهم ويرشدهم

وظيفة العلماء

العلماء لا تنحصر وظائفهم في تعليم الطلاب فنون العلم في المدارس
الدينية بالكيفية الجارية الآن بل هي على الحقيقة اعم من ذلك واشمل
وانفع . وظيفة لها دخل في سائر الاعمال والاحوال . وترتبط بسائر
الامور الدنيوية والاخروية . لان العالم يعتبر موءسس المبدأ الذي
يسير عليه الانسان ويبنى عليه سائر افعاله المتعلقة بالمعاش والمعاد . وواضع
الخطّة التي تجري عليها الامة في سائر شئونها المادية والادبية وغيرها
وهو وان لم يمكنه ان يقوم للانسان بسائر ما يلزمه ويعلمه جميع
ما يحتاج اليه من العلوم والاداب والصنائع . فلا شك ان ذلك كله
يكون مبنياً ومركباً على القواعد العمومية والخطط الاساسية التي
يعطيها العالم للامة ويغرسها اولاً في افكار الناس . فهو الذي ينبغي ان

يرشد الى السعادة الروحانية . والمذاذ العقلية . والاسرار التشريعية .
 ويحمل على الكمال في الاخلاق والاعمال والتعب . وهو الذي
 ينبغي ان يرشد الى فوائد السياحه واقتباس النافع من المدنية الحاضرة
 والسفر الى اوروبا والاندراج ضمن تلامذة مدارس الطب والصنائع
 والكليات الجامعة الى غير ذلك . بل بجوار المدارس الدينية ينبغي ان
 تبنى مدارس الفنون المتنوعة . والصنائع المختلفة . لتزدهم بتلامذة
 المسلمين بناء على اوامر المدرسة الدينية وارشادات العلماء

ويمكننا الآن ان نقول على وجه الاجمال ان وظيفة العلماء
 تنقسم الى ثلاثة اقسام . تعليم . وارشاد . وقيام بالوظائف الدينية
 من نحو الافتاء والقضاء

اما التعليم فرائب (اولها) تعليم صغار المسلمين واطفالهم في المدارس
 الابتدائية المسماة الان (بالمكاتب) و (ثانيها) تعليم جمهور الناس
 (والثالث) التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي . ولا جرم
 ان كل واحدة من هذه المراتب ضرورية وتحتاج الى ما لا يحتاج اليه
 غيرها من الاساليب . وتختلف اختيها في الكمية والكيفية . بل قد تنقسم
 الوسطي والتي بعدها الى اقسام شتى . فان تعليم المتورين من متخرجي

المدارس مثلاً لا يكون ابتدائياً كتعليم الباعة والزراع والصناع ولكن من موجب
الأسف أن علماءنا عرّضوا عن المرتبتين الأولىين ولم يعيروهما أقل
النفقات مع انها من أهم الضروريات اللازمة التي يتوقف عليها تقدم
الامة وحسن نشأتها في امري الدين والدنيا . بل هما اللذان ينبغي ان
يكونا ثمرة هذا التعليم العالي الذي يشتغلون به في المدارس الدينية و يضعون
فيه الاعمار من غير ان يعود على الامة منه فائدة تذكر . على انه في
الحين الذي يأنف فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين ارى انهم
لا يمكنهم ان يقوموا بهما حق القيام . اي نعم هم يكبرون ان يكونوا فقهاء
مكاتب مثلاً ولا ارى منهم من فيه تمام الاهلية لتولي هذه الوظيفة السامية
التي هي مفتاح السعادة للمسلمين في سائر بقاع الارض . لان امر التربية
ليس بالامر الهين ولا يكفي له معلومات النحو والفقه والاصول والبلاغة .
واني ارجو من صميم قلمي ان يوجد الله بيننا علماء مرشدين عارفين
باصول الاداب واساليب التربية ليكونوا بدل فقهاء المكاتب في كافة
انحاء القطر بل وفي سائر البلاد الاسلامية

واما الارشاد فاعني به الحث على العمل باوامر الدين سواء فيما
يتعلق باقامة الصلاة وايتاء الزكاة او ما يتعلق باحياء الصناعات والقيام

بالمطالب القومية والحاجات الاجتماعية والتفان في اساليب الكمال
والاخذ بالشيء المناسب . وتنمية الشعور الديني وتشيط الهم وتقوية
العزائم على القيام بسائر انواع الكمال التي يدعو لها الدين لامر الدنيا
وامر الآخرة . اذ لا يخفى ان مجرد المعرفة لا تكفي للعمل . فقد تقوي
الشهوات وتؤثر العادات فلا يعمل الانسان بما يعلم . بل قد ينسى ما
علم . والارشاد يضمن اصلاح هذا الفساد بل هو اعظم اساس يبنى عليه
هيكل الاصلاح الاسلامي والكمال الانساني . ومما يوجب الاسف ان
هذه الوظيفة السامية لا يقوم بها العلماء الا ن ايضاً وقد بني على اها لها
ما نراه باعيننا من النقص العظيم وعلى قواعد هذا الاهال ثبتت جذرائه
القوية التي قد لا يهدمها الا معاول القدرة القاهرة والروح الالهي ان
شاء الله تعالى

واما الوظائف الدينية فلا نعني بها كل ما له تعلق بعلم بل ما
للعلم مدخل كبير وناثير فيه واهمها القضاء والافتاء . ومنها الخطابة
لانها صاحبة المقام الاول في التعاليم والارشاد وقد كانت من وظائف
الخلفاء . واعم لوازمها قوة التأثير وهي تكون من العالم اكثر من غيره
وهذه الامور وان كان هناك من يقوم بها الآن ولكن من الصعب

ان يقال انها اخذت حظها من العناية والكمال فلا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم

كمال العلماء

العالم لا يستحق اسم الكامل حقاً الا اذا كان كاملاً في علمه .
كاملاً في تعليمه . كاملاً في ارشاده . كاملاً في اخلاقه . كاملاً
في تعبدده . كاملاً في ملكاته ووجدانه . كاملاً في نفوذه وتأثيره .
كاملاً في فعله . كاملاً في التنوير العام . كاملاً في تعمير قلبه
بالتور الالهي والاقتراب من المالكوت . الى غير ذلك من ضروب
الكمال * وبيان هذا كما نرى

الكمال في العلم

لا نريد من ذلك بلوغ النهاية في كل ما يطلق عليه اسم
العلم فان هذا من المتعذر . فضلاً عن ان هناك من العلوم ما
لا يلزم للعالم التوسع فيه وان كان كمالاً في ذاته . وانما نريد انه لا بد
من الكمال في علوم الدين ومعرفة المقادير اللازمة من العلوم الاخرى

التي يلزم ان يُلَمَّ بها العالم . وهذا من البديهي الذي لا يحتاج الى
الافاضة . وانما الكلام في بيان علوم الدين وغيرها والقدر اللازم
منها . وبيان اننا لم نصل قط الى هذا الكمال الاول . وسيأتي
كل ذلك في باب العلوم ان شاء الله

الكمال في التعليم

اذا كان التعليم شعار العالم الرسمي واخص صفاته فلا بد
له من الكمال فيه . واذا كان هو اساس السعادة وواسطة التربية
والترقي ونشر الدين فلا بد من الاعتناء به والسعي في تسهيله .
ولا يجوز الاقتصار فيه على ضرب غيره احسن منه

وبديهي انه لا تلازم بين العلم وحسن التعليم فكثيراً ما يكون
الشخص من كبار العلماء ولكنه مشوش او عاجز البيان او قليل
الخبرة باساليب الاقناع ليست عنده قوة التصرف ولا له دراية
بطرق التفهيم التي تختلف باختلاف المتعلمين ولا شك ان نجاح
الطالب او سقوطه وسعادته او شقائه يرجعان الى امر التعليم .
فهناك من يرفع البليد بحسن تعليمه ويقدمه الى صفوف الازكياء

وياخذ بأيدي الطلاب الى اسمى مراتب العلم واقصى وجوه
النظر من اقرب الطرق بدون تعب يذكر . وهناك من يحط من قدر
الازكياء حتى يذهب ما كان ينظر منهم ويضيع حسن استعدادهم
ويكون كالعلة التي تلحق الحيوان او النبات في اول نشأته فتعوق نموه
وتورثه الذبول

فمن الواجب اذا التنافس في ايجاد الطرق التعليمية الصحيحة
والعمل لبلوغ الكمال في حسن التعليم * هذا كلام مجمل وسيأتى
في باب التعليم تفصيله ان شاء الله

الكمال في الارشاد

الارشاد هو اهم ما يتوقف عليه ترقى الامة وحسن نشأتها في
سائر الشؤون المادية والادبية والدينية . وهو العامل الاكبر للنهوض
من هذا السقوط والاتباء من هذه الغفلة

الارشاد هو الوسيلة القوية الوحيدة التي يمكن بها انتشال
هؤلاء الشبان الذين كمن فيهم القوة الدينية كمن النار في الحجر
وغلبت على ظواهرهم مظاهر الشهوات فانتهمكوا حرمان الله تعالى

واهملوا ما فرض الله عليهم

الارشاد هو الذي يخرب بيوت الفسق ويعمر بيوت الله بجماهير المسلمين . هو الذي يقفل حانات الخمر ومناخ البطالة والكسل ويفتح ابواب الاستقامة والاجتهاد والعمل . هو الذي يمكن ان يقينا شر هؤلاء الاشقياء الذين يهددون الناس في انفسهم واموالهم . وهو الذي يخفف الاعمال عن عاتق عمال البوليس والنيابة وقضاة المحاكم الاهلية والشرعية . هو الذي يبدل الصفات والمعالم ويكاد يقلب الحقائق هو الذي يرفع عن الامة غشاوة الجهل ويطلقها من قيود الاوهام هو الذي يمكنه ان يأخذ بأيدي هؤلاء السفلة والمتشردين من الشبان الذين لا عمل لهم حتى يخرجهم عن هذه الاطوار الناقصة ويجعلهم في صفوف الرجال الكاملين النافعين

هو الذي يوفق بين مصالح الدنيا ومطالب الآخرة ويؤاخى بين قوتين الاسلام ومنافع المدنية الحاضرة وهو الذي يمكن ان يرق الرجل الشرقي في العمل والفكر حتى يضارع او يفوق الغربي وبالجمل فان الارشاد متى اعطي حقه من العناية والاستكمال جعل الفطر كله مدرسة كلية جامعة . وجعل الناس كلهم تلامذة

يتلقون من العلماء دروس التربية العالية في كل زمان ومكان .
ومع كل عمل وعلى كل حال . وامة يكون هكذا شأنها لا يد ان
تبلغ من الكمال ما لا تحيط بكنهه العقول

والذين ينبغي ان يقوموا بهذا الواجب المقدس والامر المهم
ويكونوا مصدر هذه الموهبة العظمى ومفتاح هذه السعادة ومحققي
هذا الكمال لاشك انهم العلماء . اولاً لانهم اعرف الناس بما يشير
اليه القانون الاسلامي وبالغاية التي يدعو اليها الاسلام واقدر الناس على
التأثير وابعدهم عن الاوهام (بحسب اصل الوضع) واعلمهم بفوائده
الجمة ومنافعه الكثيرة وثمراته العظيمة

وثانياً لان الارشاد هو المحقق لفائدة العلم ونشره بالتعليم
الذي يشتغلون به . فان مجرد معرفة احكام الدين لجمهور الناس
لا تستلزم العمل وهي بدون العمل لا تفيد

ولكن من اعجب العجيب انهم اهملوا الآن هذا الواجب
واعرضوا عنه فكان من نتائج ذلك ضعف الشعور الديني وانتهاك
حرمت الشرع حتى فيما يرجع الى مصالح هذه الحياة الدنيا . بل
كان من نتائج ذلك ضياع حرمة العلماء وانحياز امر الدين حتى كاد

بعد من الاحوال الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف المشارب والاذواق

قدر الله تبارك وعلا ان ينفصل العلم عن العمل فافتنع علماءنا بتحقيق بعض المعاني الخفية والمفاهيم المشتبهة ووجد قوم غيرهم يتشبثون باذيال العمل ثم يتمسكون باهداب الارشاد (وهم اهل الطريق) حتي صارت كلمة مرشد وارشاد من القايم الخاصة بهم عند الاطلاق لاكن مما لا يمكن التزامه انهم اعطوا هذه الصفة حقها وقاموا بواجبها فانه فضلاً عن قصرهم لما على مايتعلق ببعض اللذائذ الروحانية دون غيره من سائر الكمالات والمطالب الواجبة فانهم اخرجوه فيه ايضاً عن الوضع الواجب بل اتخذوه بعضهم شعاراً اسماً فقط طلباً للشهرة والاحترام او الاسترزاق وتيسير امر المعاش

فوالأسفا على هذه الوظيفة السامية والصفة العالية التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق . بل والأسفا على تركة الاسلام التي تفرقت ايدي سبا في ايدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها بل دنسوها وشوهوها حتي صارت في ظاهر الامر من المعاني السافلة والامور الدنيئة . ومن لهذه التركة الثمينه بمن يعرف

قيمتها فيجمع شملها ويلم شعنها ويرجع اليها نضارتها الاولى ويكون
 مكن يلتقط نفائس الجواهر الملوثة بانواع الاقدار من وسط المزابيل
 فينظفها ويميط عنها الاذى وينظمها عقداً يصبح به من كبار
 الاغنياء . تالله لا يصاح العلم بدون الارشاد ولا يفيد الارشاد بدون
 العلم وهما لن ينفعا بدون العمل فما هذا التفريق والتمزيق في
 الشيء الواحد

ولأن نقول للعلماء اعملوا وتنازلوا وخالطوا الناس وخاطبواهم على
 قدر عقولهم وارشدوهم علمهم ان يهتدوا خيراً من ان نقول لغيرهم
 اشتغلوا بالعلم وجدوا فيه حتى تصيروا علماء ثم ارشدوا . فان العلماء
 ادرى بااواجب يعقلون ويعرفون قيمة ما يلتقى اليهم من المقال وهم
 بهذا يكونون اقرب للكمال

فمن اجل هذا ارى ان امر الارشاد من اهم الامور التي
 ينبغي ان يتنافس فيها العلماء ويبحثوا بها على اكل معانيها واتم وجوهاها
 ولهذا الاجال تفصيل ياتي ان شاء الله في باب الارشاد

الكمال في الاطلاق

اذا كان الكمال في الاخلاق واجباً على سائر الناس فكيف

لا يكون موضع نظر العلماء واهتمامهم . وكيف لا يكونون اول من يتحقق به . واذا كان من وظيفتهم الارشاد الى الكمال وتهذيب الاخلاق فكيف لا يكونون القدوة الحسنة في هذا الباب . واذا كانوا هم الائمة الذين يقتدي بهم وينبغي ان يسلك سبيلهم الذين يسلكونه ويكون حسناً ما يأتون وقيحاً ما يتركون فكيف لا يتكاملون ولكن هل هم الآن كذلك . ومن اين يكونون كذلك . هل في طبيعتهم واصل تكوينهم ما يميزهم عن سائر الناس بالاقتراب من الفضائل والتكامل بالاخلاق الحسنة . كلا فالناس في ذلك سواء . هل قرنت بهم ملائكة تهديهم الى الصفات الحميدة . كلا وانما ذلك من خصائص الانبياء . هل من الامور التي تتلقى في المدارس الدينية ومن العلوم التي درسوها في ايمان تعلمهم علم الاخلاق . كلا . اذاً فمن اين يكون تهذيب اخلاقهم . لاجرم انهم في ذلك كسائر الناس منهم من نسوقهم المقادير والصدف الى التمسك بشيء من الاخلاق الفاضلة ومنهم من يظل على حاله الاولى كأشجار (ام الغيلان) ولا شك ان الكمال في الاخلاق الان ساقط الاعتبار في تحقيق مفهوم العالمية وانه لا تلازم اليوم بين التخلق بالاخلاق

الحسنة وبين ان يكون الرجل من العلماء واهل الشهرة الفاتحة
 في العلم واصحاب المناصب العالية بل هذا الآن شيء وذلك شيء
 آخر وقد يكثر في احاد الناس من هو ارقى في الاخلاق من
 بعض العلماء وقد يوجد في العلماء من هو اخطى في الاخلاق
 من احاد الناس

ضرر النقص في الاخلاق ضرر شديد يضيع الفائدة المنتظرة
 من العلماء فانه اولاً يسري بالعدوي الى الالوف المألوفة من الطلاب
 ومنهم الى غيرهم وثانياً يكون سبباً في اتصاف كثير من الجمهور
 بالاخلاق الدنيئة انكلاً على ان هناك من العلماء من هو متصف
 بها او باكثر منها وثالثاً يكون سبباً في خوض الناس في حق العلماء
 واحتقارهم لم بل وبغضهم وعدم الانصات لمقالمهم وان كان حقاً
 بل ولا لمقال اهل الاخلاق الحميدة ورابعاً يكون سبباً في مثل ما
 نرى اليوم من انقسام العلماء على انفسهم وبغضهم لبعض وغيبة
 بعضهم لبعض الآخر وقيامهم في وجه كل اصلاح وجمودهم على
 حال واحدة وان كان غيرها احسن منها بل الى غير ذلك
 مما لا يحصى

وعلي الحقيقة ان العالم احوج الناس الي الكمال في الاخلاق بل لا يستحق الانسان هذا اللقب الا ان كملت اخلاقه . فان العالم ليس له قوة قاهرة من جيوش واساطيل ينفذ بها رغائبه ويبلغ بها مقاصده وينشر بها مبادئه وتعاليمه قهراً . وانما هو الخلق الحسن والعقل المفكر واللسان المبين يجمع بها القلوب حوله ويسلك بها السنن الاقوام . ويقوم من هياكل الاصلاح ما شاء الله تعالى . والعالم الذي لا تكمل اخلاقه ضرره اكثر من نفعه يسيء من حيث يريد ان يحسن ويخذل الدين من حيث يريد ان ينصره . ويكون عقبة كبرى في سبيل كل حركة خير او فكرة تقدم بل مهما كان علمه فسيجد من سوء خلقه سداً يحول دون الانتفاع به .

وليس هناك لقب واضر من اعطاء العالمية لاقوام من هذا القبيل يتحصنون بها ويتقنون على نشر مبادئهم الخبيثة وصفاتهم الناقصة ويكونون كالصخرة في فم النهر . وحقاً ان شر الشرايعطاء المهم لمن لا يستحقه ومن يتخذه عوناً في بث مبادئه ومشربه الدنيء بين الناس

على اني لا اريد ان افوض في هذا الموضوع وثاني اني ليس بيئي
الاماع اليه وما كنت فاعلاً لولا ان الاغضاء عنه وهو مشهور
معلوم يعد نقصاً آخر

وعلى هذا فاني ارى اولاً انه لا بد من دراسة علم
الاخلاق والاعتناء بامر التربية وثانياً انه لا بد ان يكون من
موضوع التفاضل بين العلماء الكمال في الاخلاق ليكملوا في
انفسهم وليمكنهم ان يصلحوا من اخلاق الناس وخصوصاً الطلاب
الذين اشتهر عدم حسن اخلاقهم عند الخاص والعام
واقترح هنا تأليف المجتمعات الخصوصية من جماعة الاصدقاء
لكي يكون كل مرآة لآخيه ينصح بعضهم بعضاً ويرشد كل اخاه
الى ما فيه من خير او شر بحيث لا يخفى كل على اخيه شيئاً
مما يراه. فمن تبادل النقد في ساحة المودة على بساط الصفا
يكون الكمال والله ولي الارشاد

الكمال في العبارة

لا حاجة الي لا فاضة في بيان ان العلماء لا بد ان يصلوا درجة
الكمال في التعبد. فذلك امر ظاهر يدعو اليه عالم رسمي وشعاري

العام وكونهم القدوة للناس واعلمهم بما يترتب على فعل ذلك
او تركه من خير او شر واحقهم بالقرب من حضرة الحق والعمل
بسائر ما يعلمون حتي ان السنن في حقهم على اختلافها قد تكون
كالواجب حملاً على العمل وبياناً لاحكام الدين بالفعل الذي
هو ادعى للامثال

ولكن الذي يحتاج الى البيان هو ان ذلك غير منظور اليه
الآن الا بالنظر التبعي فالعالم اليوم هو سرب الفهم كثير الشغب
قوي التصور الملم بالمعلومات المتنوعة بقطع النظر عن ان يعمل
او لا يعمل ولقد قوي هذا المعني حتي وجد شعور يقضي بان الصلاح
والتعبد قد ينافي العالمية ويعد من علامات الجهل والبساطة وهذا
هو الشعور الذي اخذ ينمو في بعض الفرق الحديثة من العلماء
الذين لا يريدون من العالمية غير ان يكون لهم حيثية رسمية او ان يجوز
لهم التوظيف في القضاء . وهناك اقوام لم يزجو بانفسهم في
بحار هذا التمدن الوهمي والتفلسف الكاذب فلم يضعف احترامهم
للتعبد كسابقهم ولكنهم مع ذلك لا يعملون عليه ولا يجتهدون
في التحقق به مع احترامهم له ولا لهلـه واولئك هم من تغلب عليهم

الطباع الاولى والشهوات الحيوانية فيحصر العلم في اذمغتهم من غير ان يظهر اثره في اعمالهم . وهناك قوم يقتصرون من التعبد على نحو التسبيح وملازمة السنن الموكدة من الصلاة وزيارة قبور الاولياء مع ترك كثير من مظاهر التعبد كالوعظ والارشاد بل مع التلبس بما يتنافى كالغيبة والكذب والنفاق . وهناك فريق آخر يرى ان كثيراً من ضروب التعبد التي عليها القسم الذي قبله غير صحيحة او فيها غلو واغلبها يرجع الى الوهم . ولهذا فهو يهملها او يتراخى فيها . ويظهر من هذا وذاك ان هناك اهمالاً في التعبد وعموماً وخلافاً فيما يحققه

فاما اهمال التعبد فلا يليق بعامة المسلمين فضلاً عن علمائهم اذ لو تصور من ينبغي ان تلي مرتبتهم فيه مرتبة الانبياء لكانوا هم العلماء (ولا شك فهم ورثتهم)

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من عظيم المرتبة التي لا يناها سابق ولا لاحق كان شديد التعبد كثير التهجد بصوم النهار ويقوم الليل حتى تتورم قدماء قائماً بالمصالح العامة والخاصة للمسلمين يعظ ويرشد ويبلغ رسالات ربه

ویدعو الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجاهد في الله حق جهاده فما العلماءنا لا يكون لهم به قدوة . ها هم اصحابه والخلفاء الراشدون منهم كانوا على سننه القويم وصراطه المستقيم فما لنا لا نتقدي بهم ونقتفي اثارهم . ها هم ساداتنا الاولون كانوا من كبار العاملين فلم لانكون مثاهم

مالنا نكاد نظن ان منهيات الدين لا تتجاوز الزنا وشرب الخمر وترك الصلاة دون ما عداها مما هو مثلها في الاثم . ما لنا نكثر من التخييل والتأويل في احكام الدين وماذا تركنا لغيرنا وما هي خصوصيتنا حينئذ

العلم ثمرته العمل فما هي فائدة حشوا ادمغتنا بفروع الفقه اذا لم تكن من العاملين بها فضلاً عن ان نكون في مقدمتهم العلم عند المحققين هو المصوب بالعمل حتى ان بعضهم اعتبر العمل في مسمى الفقه فلم لانعمل حتي نتحقق بمفهوم العلم على التحقيق

لو تامنا حال السلف الصالح رأينا انهم كانوا لا يتوسعون في مسائل العلم الديني اكثر من اللازم ولكنهم يكثرون من العمل بما يعلمون فما لنا الآن نكثر من التفلسف والتخييل والتفريع

ثم نقل من العمل حتى نكاد نعدمه وما لنا نجعل الوسائل مقاصداً
 العلم الاسلامي الذي كانت تنفعل عنه نفوس سلفنا الصالح
 لا يستمد من العقل فقط . بل منه ومن الوجدان الروحاني العالي
 الذي لا يتم الا بكثرة العبادة والاقبال على الحق والاقتراب
 المعنوي من ملكوت الله . ذلك هو العلم حقاً وبه تتجلى المعاني
 للنفس علي نحو لا يحصل من مجرد التصور والفكر ذلك هو العرفان
 الالهي المطلوب حصوله في قلب كل مسلم والعلم الرباني الذي ان
 كمل كان هو الوحي ولا يكون الا للانبياء فمالنا نبتعد عنه ولا
 نأخذ في الطريق الموصل اليه وما لنا نقصر في الغايتين العامية
 والعملية ولا نكون اول من يتحقق بما ندعو اليه

واما ما يحقق التعبد فارى انه في العالم غيره في غيره لان
 هناك من الواجبات الدينية ما هو موجه الى العلماء دون غيرهم .
 فهذا الزل والخشوع والزهد في الدنيا وكثرة الذكر وزيارة الاولياء
 والغلو في الاعتقاد لا يحقق وحده معنى التعبد في العلماء . ومن
 يكون هذا فقط حاله فمهما كان علمه لا ينبغي ان يسبح عالماً بل
 زاهداً مثلاً واولى الاشياء به ان يذهب الى شعاب الجبال ليعبد

الله بعيداً عن الناس حتى يأتيه اليقين لا ان يكون من العلماء
عمال الرسالة المحمدية ونواب الحضرة الاحمدية في هذه الامة لان
العالم لا بد ان يضم الى هذه الصفات المتقدمة الجرأة وقوة الفكر
ومعرفة الاحوال الحاضرة وسائر ما يرتبط بشؤون وظيفته العلمية
الارشادية مع القيام بها اتم قيام . وهؤلاء الذين نسحبهم صالحين
ونعدهم من كبار العلماء ونجلهم ونحترمهم هم على الحقيقة مقصرون
في واجبات العالمية وهذا الحال الذي يعجبنا منهم ليس كمالات
لهم وان كان كمالات لغيرهم . وحقاً ان العالم الذي يشغل وقته بالصلاة
والذكر والتسبيح وزيارة الاولياء ويترك الناس في غوايتهم ولا يلتفت
لاعزاز الدين بالطرق الصحيحة المعقولة ثم اذا قيل له في ذلك
اجاب بان هذا آخر زمان او بانه ماذا يصنع لا يستحق المدح
والثناء على حاله ولا يسلم اليه مقاله . وكذلك السعي وراء المصالح
العمومية والنظر في ما يرقى الامة والانصاف بكثير من الصفات
اللازمة للعلماء مع عدم العناية بانواع التعبد الاولى قصور بالغ حد
النهاية لا يعد صاحبه من اهل الكمال في شيء . وانما الكمال هو التحقق
بكلا الامرين وعدم اغفال احدهما . فالعالم لا بد ان يكون نهائياً

في وعظه وارشاده ونظره فيما يعود بالمنفعة على المسلمين واستعماله عقله وجسمه في هذا السبيل كالملك الذي يشتغل بمصالح رعيته ويدبر شؤونهم . واذا جن عليه الليل كان في تقديسه وتسبيحه واقترابه من ملكوت الله كالملائكة (كن ملكاً بالليل وملكاً بالنهار)

ولا شك ان كلا الامرين اهمال التعبد واختلاف المشارب فيما يحققه ناشئان من نقص بل عدم التربية الدينية في المدارس الكبرى التي يتخرج منها العلماء فالطالب متى قدم هذه المدارس فوجى ' بدروس فروع الفقه الدقيقة ومعرفة احكام المتخيرة واحكام سهو الامام وسهو المأمون ونحو ذلك وظل على هذه الحال الى النهاية من غير ان يتلقى درساً واحداً في الحث على العمل بهذا العلم بالطرق المؤثرة ثم يخرج عالماً بدون ان يعرف من هو العالم وما هي واجبات العلماء . وغير خاف ان مجرد معرفة احكام الفقه لا تحمل على التعبد والعمل بها فلا جرم هم في ذلك على حسب الاستعدادات الاولى المختلفة وحقهم في هذا كحكم ساير الناس

ومن هنا ارى وجوب الاعتناء بتقوية الداعية الدينية في نفوس

الطلاب أولاً والاعتناء بالوعظ والإرشاد فيما بينهم وبيان الغاية التي ينبغي أن يصلوا إليها والمباني التي يجب أن يكونوا عليها وأن لا يرقى منصب العالميه إلا أهل الكمال في التعبد والله الموفق إلى ما فيه الخير والصالح

الكمال في الملكات والوجدان

من اصدق المقال قولهم المرء معكوم بوجدانه (اذ هناك عند التدقيق شعور خاص وتجلي للأشياء في نفس الانسان علي اوجه شتى وادراك دقيق للأمور علي انحاء مختلفة يتبع ذلك الميل لشيء دون شيء واستحسان لبعض الامور دون البعض وبهذا كانت تلك الاحوال هي المسيرة للانسان والمرتبة عليها سائر اعماله والموجودة اثارها في قوله وفعله بل ومسكنه ونظامه وشكله وسائر ما يرتبط به او يكون له اثر فيه .

الى هذه الاحوال النفسية والملكات الخفية والوجدانات المسخرة يرجع علو الانسان وانحطاطه وكماله ونقصه فهي اذا مرجع التفاضل ومبنى الكمال وعلى مقدار حالها يكون حال الانسان الحقيقي

وهناك من الناس من يتكاف ان يظهر بمظهر موافق ويجري على سنن العقلاء في عاداتهم وتكون ملكاته ووجداناته على عكس ذلك فمثل هذا مهما تمكن من اخفاء حقايقه فلا بد من ظهور آثارها ومهما تمكن من الجري على خلاف ما يجد من نفسه فلا بد ان يغلبه وجدانه في بعض الاوقات

الملكات العاليه والوجدانات الطاهرة من شأنها ان تأخذ بأيدي صاحبها الى موجبات الفضيله الحقيقية وتهديه الى الكمال وترشده الى الحقائق في سائر الشؤون والاحوال فمن فقدوها فهو وان حسن حاله الظاهر فقد تبدو منه آونة نقائص لا تغفر ومعايب لا يزول عارها مدى الزمان وقد يكون الفرق بينه وبين صاحب الوجدان العالي والملكات الكاملة كالفرق بين البيغاء الذي يتعلم جلامن الكلام وبين الانسان الفصيح فالبيغاء قد يتقن الجملة التي يتعلمها حتى يخيل للجاهل انه ناطق كالانسان لافرق وانه قادر على كل كلام ولكن العالم يرى ذلك بتعليم في شيء خاص وانه بذلك لا يخرج عن حيوانيته المطلقة

ولا ينكر علينا احد ان هذا المعنى الذي اعجز عن بيانه

في هذه الجمل القصيره ينبغي ان يكون على اكل وجوهه في العلماء
 كما لا ينكر احد ان اصل العلم والتقدم فيه لا يستلزمه . واننا نرى
 باعيننا من العلماء المشهورين الذين احرزوا التقدم وشغلوا الوظائف
 العالية وعدوا من الرؤساء من ينقصهم هذا المعنى وان ملكاتهم
 ووجداناتهم النفسية ذنبئة ناقصة تباين مراكزهم الرسمية وتضاد
 منزلتهم بين الناس وانهم لا تزال لهم من الصفات الناقصة ما
 يحطهم عن اكثر الناس وان كان ذلك لا يترأى الا لمن
 يعاشرهم ويعاملهم ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة وقد ينبغي
 على ذلك صدور اعمال منهم تعد من الاعمال التي تورث النقص
 العام وتوجب العار الفاضح للامة وللدین والشواهد على
 ذلك كثيرة

ومن هذا كان الواجب التنبيه لامر الملكات والوجدان
 والسعي في ايجادها على اكل وجه في العلماء وكذا الطلاب . علي
 ان ايجادها ليس بالامر السهل وتربيتها في النفوس لا يعرف صعوبتها
 ولا طرق الوصول اليها الا علماء التربية . ولكن ما لا يدرك كله
 لا يترك كله ومن جد وجد ومن لجّ فتج الباب وكل شيء سهل

مع الجاهدة. وعلو الهمة والله ولي التيسير

الكمال في النفوذ والتأثير

النفوذ والتأثير لازمان للعالم من حيث هو مصلح مرشد فان مجرد معرفة الحق والخير لا تكفي في حمل الناس على العمل به وكثيرا ما ينادي بالحق من لا يكون له شيء من النفوذ فيذهب نداءه كصرخة في واد وظلما جاهر بالباطل واحد من ارباب النفوذ والتأثير فتابعه الناس عليه

اصبح علمائنا اليوم فاقدون كل شيء من معني النفوذ والتأثير عارين عن سائر موادها ولا شك ان هذا نقص شديد يجب تداركه . لا اقول فقدوا النفوذ والتأثير فقط بل واكتسبوا صبغة الاستئغال والاحتقار من اكثر الطبقات العليا حتى كاد يكون الحق منهم باطلا والصدق منهم كذبا والنصح منهم غشا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

لو نظرنا بعين الاستبصار الى سائر المرشدين الى الحقائق وهداة العالم واولهم نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رأيناهم

اولاً كانوا موضع الازدراء والتحقير من الناس وان من يتبعهم كان
اقل القليل فاذا ما اكتسبوا قوة النفوذ والتاثير انعكس الامر
واقبل الناس عليهم ودخلوا في دين الله افواجاً ورأوهم بعين غير
الاولى كأنهم ليس هم اولئك الاولون ذلك لان الناس دائماً اسراء
العادة عباد المظاهر ايمانهم في عيونهم كما قال بعض العارفين فهم
دائماً لا يستمعون الا لمقال من يكتسب صفات الاحترام العام ولا
يرضخون الا لمن يبرز قوة النفوذ واذا كان الامر هكذا فلم لا يكتسب
هذه القوة لتمكن من نشر الحقائق الاسلامية وتوصل الى اعلاء
كلمة الله ثم لم لا يكتسبها وهي التي ترفع الانسان من الطبقات
السافلة الى اعلى المراتب وتجعله سلطان القلوب وقائد الافكار

ها هو فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده واحد منا انظر لماذا
علا دون امثاله ولم وصل الى ان صار صاحب الرأي الاعلى في
سائر الشؤون الازهرية وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة
المسموعة عند اكثر اهل الطبقة العاليه حتي امكنه ان يسود
اكثر الذين يغضونه من العلماء وقد كان في اول قدومه للازهر
عند الناس كاحاد الطلاب . شيء جاء بالصدفه ام هذا نتيجة

العمل والاجتهاد . لا جرم ان هذا كن اولاً نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل وحسن البيان واتقان العمل وذلك جعل له مكانة عند الطبقة العليا وتلك المكانة اكسبته نفوذاً آخر وجعلت تأثيره اقوى وقد تمكن بهذا وذلك ان يرأس العلماء وتكون له كلمة التصرف حتى على شيوخه ومن يعضونه وان ينشر مبادئه ويدعو الناس اليها ويلبي دعوته كثير من الناس وهو لو دعا اليها في بدا نشأته ما اجتمع اليه اكثر المجتمعين حوله الآن

تأمل ما وظيفته الآن في الازهر . فاما الافتاء فهو من وظائف الحكومة لاتعلق له بالازهر وانما وظيفته انه عالم من العلماء ثم هو عضو من اعضاء مجلس الادارة لا فرق بينه وبين باقي الاعضاء بل هو وفضيلة الشيخ سليمان العبد والشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ احمد الحنبلي متساوون . اذاً فما هذه الغلبة الهائلة والصولة العظمى والتأثير الكبير حتى يكاد الناس يحترمونه اكثر من شيخ الازهر نفسه وهم يعتقدون انه الامر الناهي وان كل شيء صادر عنه ومنسوب اليه . لاشك ان هذا كله بقوة نفوذه وتأثيره . وهكذا تكون الرجال

فلأن كان هذا الاستاذ محققاً فلم لاكتسب نفوذاً كنفوذه
ونكون انصاراً للحق

ولان كان مبطلاً وقد تمكن بنفوذه ان ينصر الباطل ويصل
الى هذه الدرجة من القوة والتأثير فلم لا نحرز مثل هذا النفوذ
بل ما هو اقوى منه لنتمكن من نصرة الحق وخذلان الباطل
ولم نجبن ونضيع بجنبنا الحق معنا . لاشك ان هذا هو الموت
الادبي والشقاء الابدی والصغار السرمدي وما يعقله الا العالمون

بقى علينا ان نعرف ما هي الوسائل التي تفيدنا قوة النفوذ
والتأثير وهي على الحقيقة ليست محصورة في شيء خاص ولا
مقصورة على ضرب معين ولكن كلها ترجع الى قوة العقل وفصاحة
البيان والاتجاه نحو العلم والاتصاف بكل شيء شريف من شأنه
ان يرفع الانسان في الناس مع كثرة المخالطة والابتعاد عن النقائص
فالواجب اذاً على العلماء التمسك بهذا المعنى والسعي وراءه
الاتصاف به والله خير موفق ومعين

الكمال في الفعل

من الواجب ان يكون صدور سائر الافعال والاقوال والحركات

والسكنات من العاقل على وضع حكيم وترتيب حسن ونظام تام
 اذ قد لا يوجد اثر يدل على كمال العقل وقوة الاقتدار اكثر من
 فعل الانسان ونظامه . وهناك من الناس من قد يتصور الحسن
 والقيح ويكون شديد الادراك ثم لا يكون لذلك اثر في فعله فهذا
 لا ينبغي ان يعد في صفوف اهل الكمال فان المجنون قد يدرك تماماً
 كما يدرك العاقل ولكن ادراكه لا تنفعه عنه حواسه ولا تظهر له
 ثمره ما في فعله فما اشبه من لا يحسن اعماله ويتقنها ومن لا يضع
 الشيء موضعه بالمجنون مهما كان ادراكه ومهما كانت قوة فكره .
 وماذا تفيد سعة الاطلاع وقوة الذاكرة وكل الادراك اذا كان
 صاحبها هنجياً لا يحسن شيئاً من عمله ولا يتقنه بل سائر اعماله
 خال وتشتويش وجميع حركاته مثال الرعونة والطيش . وامثلة هذا
 كثيرة فكلم مرة تقع اعيننا على ائس لو تجمعتا بهم جامعة في
 مجالس فيظاهر منهم شيء من عدم لاتقان في اقوالهم او اعمالهم او
 حركاتهم فيكونون بهذا موضع الازدراء والتحقير من سائر الناس
 واذا كان هذا الحاكم حكماً عاماً فهو بالعالم الحق واختصاصه به
 اشد فالعالم ما لم تظهر عليه الرزاة وتكون جميع اقواله وافعاله وحركاته

وسكناته واقعة موقعها لا يعول عليه مهما كان كبيراً في العلم

العالم لا بد ان يكون مع سائر الدوائر المرتبطة به على جانب عظيم من الاحكام والنظام وان كان هذا غير المشاهد الان

العالم لا بد ان يوجد في كل شيء يلتصق به حتي زيه ولباسه ما يشير الى حكمته وحسن تديره فلا ترى في عامته مثلاً ولا سائر ملابسه ما يشير الى فساد في النظام او ما يستلفت اليه الانظار على وجه ينافي الاحترام . العالم لا بد ان ترى في مشيه وسكونه واشارته بالتحية وفي منظره اذ تبسم وفي منطقه اذ تكلم ما يشير الى جلاله ووقاره وكمال عقله وحسن خلقه واكثر ما ينبغي ان يكون ذلك في المحافظ للرسمية ومجامع الناس

والكن مما يوجب الاسف انهم يخالفون ذلك الان مخالفة كلية فمثلاً في حفلات التشریفات تجد منهم من يأتي قبل الميعاد المحدد بزمان كثير ومنهم من يتاخر عنه وهذا مما يخفض من احترامهم في اعيان الناس وخصوصاً عمال المعبة ثم تجد منهم من لا يحافظ على قصب كسوته فيتغير لونه تغيراً مشيناً ويصير بهيئة مزدراة ولا شك ان هذا من دواعي الانتقاد ثم تجد هم ايضاً في هذه الاجتماعات

غير مرتبين وغير بادية عليهم سماء الوقار بل هذا يذهب هكذا وهذا يأتي هكذا والصغار منهم يتقدمون الكبار الى غير ذلك من دواعي التشويش وعدم النظام وكثير ما يزاحم صغار الشبان كبار الشيوخ حتى لا يجد بعض اكابر اهل الدرجة الاولى كرمياً ولا شك ان هذا من اسوء الاحوال التي لاتليق بقئة من الناس ويعلم الله ان صغار تلامذة المدارس يفوقون عنهم في مقتضيات الحكمه ودواعي النظام الاجتماعي في امثال هذه الحفلات

وفي تشييع الجنائز قلما تجدهم على حال لا يوجب الانتقاد من العامة والخاصة ولعل اكبر جنازة رأيتها مدة عمري جنازة المرحوم اسماعيل باشا وهم فيها كانوا على حال سيء غير مرضى قيينما كنت ترى سائر الفرق سائرين مع تمام الانتظام والسكون والوقار تعلمهم الهيبة ويحفهم الجلال (ومن تلك الفرق فرق الرؤساء الروحانيين) كنت ترى العلماء سائرين على شكل مشوش ليس فيه شيء من مقتضيات النظام ولا مما يوجب الهيبة والاحترام يكلم بعضهم بعضاً بكيفية اوجبت انتقاد سائر الناس

وفي المجامع الحافلة تراهم ايضاً على هيئة غير مستحسنة وغير

موجبة للتبجيل فلذا كانوا في ما تم كانوا اول المتكلمين المرصين عن
سماع القرآن واذا ما تحدثوا تحدثوا على شكل غير منتظم وربما قطع بعضهم
الحديث على غيره وربما بادره بشئ من الانتقال غير صحيح او صحيح
غير مناسب ذكره واذا ما حكي بعضهم شيئاً بادره الباقي به اظهاراً
لأنهم يعرفونه . اما سمعوا قول القائل

وتراه يضغى للحديث بسمعه * وبقلبه ولعله ادرى به

فاذا ما جرّ سياق المقال الى بعض المسائل العلمية تسابق الكل
لل كلام واختلفوا في الاراء وربما تكلم اكثر من خمسة في نفس واحد
وكل هذا من عدم الحكمة وقلة التدبير

مجالس العلماء لا بد ان تكون مجالس سكون ووقار وتكون هي
الاصل الذي تقتبس منه آداب المجالس كما ان العالم في جميع اطواره
يجب ان يكون قدوة الكمال لسائر الناس

العالم لا بد ان تكون اوقاته مرتبة واعماله مقسمة عليها تقسيماً
مناسباً حسناً فلا يمضي وقتاً بدون فائدة وفي غير عمل مفيد

العالم لا ينبغي ان تفوته فرصة من الفرص المؤدية الى خير ديني
او مادي او ادبي من غير ان يفتنمها . العالم لا ينبغي ان يفعل

فعلاً ما إلا وهو جار على سنن الحكمة ومنهج السداد سواء كان من الأفعال المتعلقة بالأحوال الشخصية أو الاجتماعية الأدبية أو المادية أو المتعلقة بشؤون وظيفة وما يوجب عليه منصب العالمية العالم لابد أن يكون في بيته منتظماً انتظاماً تؤخذ منه نظامات البيوت بل والممالك

العالم لابد أن يكون حسن التدبير في أموره المالية وجميع شؤونه الخ الخ الخ

ولا شك أن النقص في هذا كله إنما يأتي من نقص التربية فلي علماءنا أن يهتموا ويصلحوا أمثال هذه الشؤون المهمة في أنفسهم ثم يعتنوا بتربية الطلاب وما يتذكر الألو الألباب والله هو الهادي إلى الصراط المستقيم

الكمال في التنوير العام

التنوير العام من صفات الكمال اللازمة لسائر أفراد الإنسان العلماء وغيرهم ولكن حاجة العالم إليه أشد لأن وظيفته كلها مبنية على الفكر ولأنه لا يحوز الاحترام ولا يتمكن من تادية وظيفته كما ينبغي إلا إذا كان عنده هذا التنوير

لكن هناك من العلماء من ترى تنورهم قاصراً على مناقشات
الفنون والكتب التي يدرسونها حتى لا يمكنه ان يخوض مع انسان
في حديث ما فيتقنه وان جالس في مجلس عام لم يحسن التكلم فيه
بل اما سكوت واما كلام تجبه الاستماع وبأباه الطبع السليم . وقد
كان الواجب ان يكون مصدر سائر المستحسنات حتى يقبل الكل
عليه ويكون مركزاً تدور عليه سائر احوال المجلس الذي حواه ليكون
موضوع احترام الكل واجلالهم فيمكن التأثر عن قوله والاخذ به

هذه الصفة صفة الاقتصار على مناقشات الفنون لا ينبغي ان
تكون الا للمثل البيغاء الذي يتقن جملاً من الكلام دون غيرها ومن
الغريب ان يظن بعضهم ان اكثر المعلومات التي تكون هذا التنور
مما لا ينبغي الالتفات اليه . وهذا خطأ فاحش اذ العالم لا بد ان
يعرف سائر اصطلاحات الناس وعوائدهم في الكلام وغيره والاشياء
المتداولة بينهم والتي تنال عندهم القبول ليدخل من بابها ويستعملها
في استمالتهم نحوه وسماعهم لاقواله وهذا الخطأ كثيره جاء من انهم
لم يفرقوا بين العالم ومن سميناه في ما سبق زاهداً فظنوا ان كمال
العالم في البعد عن الناس وعن سائر احوالهم وهذا خلط قد ادى

الى ضرر جسيم

فالواجب اذ السعي لتحصيل هذا المعنى كغيره مما تقدم لانه للعالم
كالسيف للمجاهد والله خير موفق ومعين

مطالعة الجرائد

مطالعة الجرائد من اعظم ما يفيد هذا التنور ويوقف العالم
على المعلومات المتداولة التي يعد جهلها عيباً عند الناس فضلاً عن
انها توقف المطالع على حال اخوانه المسلمين في سائر بقاع الارض
وعلى ثقلبات الاحوال وكل ما له ارتباط بشؤون وظائف العالم
فهي اذاً اعظم عَضْد له في القيام بشؤون وظيفته وله منها
منفعة اخرى لا تقدر وهي انها تكون خير واسطة في ابلاغ مقاله
لسائر الناس في سائر اطراف الارض بسهولة . وهذا حال لا ينال
الآن من تأليف الكتب فان قراءة الناس للكتب وتامل ما فيها
قليل بخلاف الجرائد

هناك من العلماء من يرى ان كلام الجرائد كذب لا تجوز
قراءته وهو رأي واضح الفساد فان عدم قراءة الجرائد تجعل الانسان
في انحياز تام عن العالم وبعيداً عنهم كانه لبس على ظهر البسطة

وتجعلهم أيضاً مستثقلين محققاً في أعين المتنورين كما يحتقر الجاهل
بإسقاط الأشياء حتى أنهم ليعدون مخاطبتهم له تنزلاً ومجاراتهم واحترامهم له
تفضلاً لأنه في أعينهم رجل بسيط لا يعرف إلا أحكام الدين ولا
يدري ما عليه الناس

على أنا لا نريد من الجرائد تلك الوريقات الساقطة التي تتجاري
على الكذب بل الجرائد المشهورة المفيدة كالـمؤيد ولو صح نظر هؤلاء
الناس ما جاز للأولين أن يشتغلوا بعلم الحديث لأن من الحديث
ما هو موضوع

على أن وراء الأخبار في الجرائد مقالات وأبحاث مفيدة يهم العلماء
والطلاب معرفتها والاستفادة منها ومن هذا لا يحسن عندي
أيضاً حال بعض العلماء ممن شغلهم الدنيا حيث يقتصرون من
الجرائد على قسم الحوادث المحلية ليعلموا منها تنقلات عمال الحكومة
مثلاً وإن الباشا فلان جاء واليك فلان ذهب إذ هذا شيء لا ينبغي
أن يكون نظر العلماء فيه الاتبعياً

المجلات العلمية

ومن أهم ما يجب الاطلاع عليه أيضاً المجلات العلمية كالمقتطف

والهلال والمنار فانها تطلع الانسان على معلومات لا يستغنى عنها العالم
وحبذا لو امتلأت صفحات المجلات الدينية بمقالاتهم الضافية
وارشاداتهم المفيدة

الكمال في تعبير القلب بالنور الالهي

والقرب من حضرة الحق

نريد من هذا حصول الغاية التي يدعو اليها التصوف المعتدل
التي تكون بصفاء الروح والتفاتها الى ما وراء الحس وميلها الى
الذائد الروحانيه وحصول ذوق لما عال ووجدان صاف يوصلها بالملاء
الاعلى ويقربها من مبدأ الوجود جلّ وعلا حتى تشرق عليها انواره
وتفيض عليها اسراره

هذا الضرب من الكمال هو اعلى انواع الكمال وارقاها بل
هو غاية الغايات ومنتهى السعادات وهو الذي يمكن ان ينال به
مقام وراثة النبوة على التحقيق . فلا جرم كان من اول الواجبات
على العالم التحقق به والوصول اليه . منزلة هذا النوع بين ما يدعو
اليه الدين الاسلامي من ساير الكمالات والمصالح منزلة اللب والثمره

بين الغلافات والقشور وباقي اجزاء الشجرة . وكيف لا وهو يتعاقب
 بنوال اعلى المراتب العرفانية واعظم المقامات الروحانية . الا ان هذا
 الكمال المطلوب دقيق في ذاته خفي في تصويره صعب في اثباته نادر في
 حصوله له مشابهات كثيرة من احوال النفس وتولعاتها وتخيلات
 وهو مع ذلك لا يكون الا بقدر معلوم ونقط معين . فكثير من
 الاحوال والاقوال التي تصدر عن من ينسبون الى التصوف ليست
 من هذا الكمال في شيء وانما هي انفعالات وتولعات وخيال . وهناك
 ايضاً من الناس من يغلو في الاقبال على العالم الروحاني حتي
 يتجاوز الحد المطلوب وقد يصل الى ما يسمى بالشطح او الفناء
 من الاحوال التي تخرج الانسان عن انسانيته

ما اشبه الانسان في تكوينه وكماله في تركيبه بالمؤلفات العنصرية
 والمركبات الكيماوية . روح عال دائم من الملائكة الاعلى . وجثة دنيئة
 قابلة للفساد . تنزل هذه الى تلك وتتصل بها بقدر معلوم ودلى
 وضع معين فيمتزجان ويتحدان ويكون منهما انسان تام

لا جرم ان كمال هذا الانسان يكون مركباً من مجموع الكمالات
 الروحانية المتعددة المتعلقة بروحه والكمالات الكثيرة الجسدية

المرتبطة بجسمه . ولكن عن نسبة خاصه فيما يتعلق بالروحانيه مع
 الجسمانيه اولاً . وفيما يتعلق بافراد كل مع بعضها ثانياً . فان اختلفت
 النسبه او اختلف التوازن لم يكن كمالاً في الانسان وان كان في
 ذاته قد يكون كمالاً في شيء آخر . فكمال الانسان اذاً في
 تركيبه كالدواء المركب من اجزاء معلومه بمقادير معينه او كالعناصر
 الاولى البسيطه التي تتركب على وضع ونسبة معينه فتكون شيئاً
 واحداً هو الماء مثلاً فان اختلف التركيب انقلبت الحقيقه وكانت
 مثلاً قطناً وهكذا

ولان تعددت الاجزاء التي يتركب منها كمال الانسان فان
 هذا النوع الذي نحن بصددده هو اشرفها واعلاها كما انه ادقها
 واخفها حتى يكاد ينكر وجوده من لا يجده وليس هو يلزم لاحد
 ما لزومه للعالم الذي يستعد بحسب اصل الوضع لنوال اقصى المراتب
 الكسييه من الكمال الانساني

هناك من الناس من يتحصل على هذا النوع من الكمال
 مع القصور في غيره من بقيه الكمالات الروحانيه العلميه وغيرها
 بل الجسمانيه ايضاً كما ان هناك من يتحصل على الكمال العلمي كله

او بعضه دون هذا الكمال الروحاني حتي لا تكاد الآن تجد اجزاء
الكمال مجموعته الا في اندر النادر

ولكن هي وان تشنت فقسط صاحب الوجدان والنور الالهي
منها قسط اوفر وهو الى السعادة الحقيقية اقرب ما دام متحصلا من
الكمالات الاخرى على الضروري اللازم وهو افضل ممن ينال
النهاية العظمى في الكمال المادي ولا يتحصل على شيء من هذا
المعني الجليل

ومن هذا يتبين ان الاعتناء بنوال هذه المرتبة السامية من اعظم
ما يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق اليه المتسابقون والله هو
الكريم الفتاح ولهذا الاجمال تفصيل كبير بأتيك شيء منه في
الكلام على التصوف ان شاء الله

حال العلماء اليوم

ماذا اقول في هذا الباب وماذا ينبغي ان اقول فيه والمقام
خرج والحاجة الى الابانة شديدة . أخشى سطوة الرؤساء وقيامه
العلماء فاكتب من صحائف الاطراء ما تمزقه يد الشهود . ام تاخذني
العزة بالاثم فلا ارضى ان انسب لنفسي ولا لابناء جنسي ما

خطنا وحقرنا في هذا الوجود . ام اسكت واغاط شعوري واقول
اني واحد من كثير . او اعلل نفسي بالقضاء والتقدير
ربي انت اعلم بحيرتي ودهشتي فانسلني من احوال هذا
الترديد . والهمني القول الرشيد . ووقفني لما فيه الخير لي ولاهل ماتي
يارب العالمين

تالله ان من اهم ما يستلفت الانظار حال علماءنا اليوم وفائدة
الامة منهم . فهم بحسب اصل الوضع المرجع الاعلى في اصلاح شؤءون
الامم الاسلامية وغرس الملكات الدينية في قلوب المسلمين ونشر
العلم بينهم ودلائلهم علي ما ينبغي ان يكونوا عليه في امري الدنيا
والاخرة وايقافهم على قبح القبيح وحسن الحسن من الاخلاق
والعادات والاقوال والافعال اذ هذا هو المقصد من افراد طائفة
بالاشتغال بالعلم وتشبيد دور واسعة . لم

ولكن المطلع علي حالنا اليوم لا يدري هل المقصود من
الاشتغال بالعلم الديني هو هذا . او المقصود ان يحوز الانسان مرتباً يقوم
بضروريات معاشه فيكون العلم الديني من الحرف يقصد للتعيش
او المقصود ان يحوز شرفاً وجاهاً وصفة بين الناس لا يحوزها الا

من يأدي الامتحان فيقال زكي نجيب حاز قصب السبق الى غير ذلك من العبارات . او المقصود تكميل الفرق وتتميم الطوائف حتى لا يكون المجتمع الاسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) تنميماً للنظام وان لم تنفع هذا المجتمع بشيء يذكر . او المقصود المحافظة على التقاليد الاولى والاحوال القديمة ولو بغير معنى . او المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي اقامت هيكل العلم الاسلامي وشيدت له بيتاً من العز في العصور الاولى كما يكون في تشخيص رواية مثلاً

ولا يعرف ايضاً هل المقصود من العلم ان يعرفه الانسان وان كان لا يلاحظه في خلقه وعاداته وعمله اولا بد ان يظهر اثر علمه في شغفه قبل غيره . وهل الغرض ان ينحصر العلم بين جدران المدارس الدينية او الغرض ان تكون المدارس كالشمس تبعث منها الانوار في جميع ارجاء العالم ويكون لها اثر في ترقى الامم الاسلامية مثل تاثير الشمس في انماء الزروع وانضاج الثمار واصلاح هذا الكون

على اني لا اريد ان افيض في بيان حال علماءنا وما هم عليه

فذلك شيء مؤلم وحسبي منه ما يعلمه الناس وما مست الحاجة
 لإبائه في سابق هذا الكتاب ولاحقه . ولكني اذكر من ذلك
 امراً واحداً مهماً هو علة العلل في كل الاحوال . الا وانه مبدأ
 العلماء اليوم ومشرهم فاقول . ينقسم علماءنا في مبادئهم الى قسمين
 آخذين بالعادة . وآخذين بالفكر . فاما الآخذون بالعادة فهم
 جمهور العلماء لايميلون الا لما وجدوا عليه من قبلهم معتقدين ان
 الكمال فيه سواء في ذلك علومهم ومعتقداتهم والكتب التي
 يدرسونها وطريقة التدريس والامور الشخصية وسائر الاحوال .
 والاكابر منهم اهل الكمال هم الممتازون بالصالح والتقوى والنظر الى
 الآخرة او بالتدقيق في المباحث اللفظية والمعاني الخيالية ولكن مع
 الجهل باشؤون العامة واكثر العلوم الضرورية والاحوال العمومية
 ومع ذلك بكثير من المعتقدات الخرافية والاهام العامة ومع
 الجمود والرقوف عند حد من الفكر والتعقل ادني مما ينبغي ومع
 الاقتصار من العلم على ما لا يكفي ومع عدم النظر الى نشر العلم
 او تقريره من الفهم وعدم السعي فيما يصلح العامة وما يعود على
 الامة بالثرفي في امري الدنيا والآخرة ومع عدم الجرأة في شيء

مما تنبغي الجراءة فيه، ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بما يطرا
 اليوم على الاسلام من اوجه الطعن وعدم الاكتراث باقناع المعارضين
 ورد المجادلين. بل يكتفون من العلم بتدقيق في الالفاظ وتحقيق
 لبعض المعاني على ضرب خاص لا يفيد الا بعد زمن مديد وجهد شديد
 واما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ولم يزالوا قلبين
 جداً وهؤلاء يرون ان ما عليه الاولون غير صواب وينتقدون عليهم
 في علومهم واخلاقهم وصالحهم وسائر احوالهم ويرون الكمال في
 ان يكون الانسان قوي الفكر شديد العارضة صحيح النظر في
 الشؤون العامة ويعلم من علوم الكون ما يمكنه ان يرقى به لامة
 وبوقفها في صفوف الامم الحية ويخرجها من الاوهام وابس الجهالة
 ويتغالبون في ذلك. الا انهم مع هذا يثقون بافكارهم ويستبدون بها
 ويحكمونها فيما لا ينبغي ان تحكم فيه ويكرهون كل قديم مما عليه
 الجمهور مع عدم اعطاء تربية الملكة الدينية وما يتعلق بامر الآخرة
 من العناية مثل الذي اعطوه للامور المتقدمة بل مع اغفال ما يقرب
 الانسان من الملاء الاعلى ويظهر عليه اثار العبودية

والذي اراه نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين وان كلا

منهما يتعد عن الغاية التي ينبغي ان يصل اليها اهل العلم بقدر ما يقترب الآخر منها وان اجزاء الكل الواجب للعلماء موزعة عليهم لا مجموعة وان كلا مصيب في شيء مخفي في آخر . فان التمسك بالعادة قبيح كما ان الثقة بالفكر توقع الانسان في الخطاء من حيث لا يشعر . بل المبدأ الصحيح الذي ينبغي ان يستلكه اهل العقول الراجحة هو كما اقول (لا تقدس العادة ولا تثق بفكرك) بل تأمل وتدبر فعسى ان يكون ما عليه الناس حقاً خفي عليك وعسى ان يكون ما رأيته صواباً عقل عنه الناس . وما يتمسك به الاولون من الصلاح والتقوى والانكسار والاقبال على امر الآخرة والتحقيق بالعبودية حسن ولكن في موضعه وعلى وجه لا ياذي الى الاقتصار عليه وعدم القيام بالشؤون الواجبة على العالم من حيث هو عالم يلزمه ان يكون ذا نظر وسعة اطلاع والملم باخلاق الناس واحوالهم وحسن بيان وعلم بما يلزم من علوم الاكوان ليكفيه ان يقوم بالواجب عليه للناس حق القيام ويكون لقومه شمساً مضيئة ولاعلاء كلمة الحق وقيام الناس على طريق الهدى سيفاً ماضياً ومناراً عالياً فهذا ولجب وهذا لازم ولهذا وقت ولذلك وقت آخر . فالعالم اذا

جن عليه الليل ذل وخشع وانكس وانخلع عن هذا المكون الناقص
واقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع ويسبح
ويقدس ويمجد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماء وينحل
جسمه . واذا أصبح أصبح شهماً جريئاً في موضع الجراءة والشهامة
يعظ ويرشد و يعلم ويقول الحق ويهدي الى سواء السبيل يساير هذا
ويجلس الى ذلك . ان استعمل الشدة في موضعها فمن غير عنف وان
استعمل اللين فبغير ضعف لا تقوته شاردة ولا واردة مما يرى فيه
صلاح الامة في امر دنياها وآخرتها فلقد قال الحق في اصحاب
رسول الله (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقد كانوا اذا راى راء في
النهار ظنهم من قطاع الطريق يشنون الفارة هنا ويبارضون هير
فريش هنا وهكذا لاتأخذهم رافة في دين الله فاذا اقبل الليل
كان لهم ازيز كازيز النحل يذكرون الله تعالى ويسبحونه اناه
الليل واطراف النهار لا يفترون

وما يغلب على القسم الثاني من القيام باصلاح الامة وارشادها
الى طريق سدادها وعدم اغفال الفكر مع الميل الى الترفي في
العلوم والمعارف والامخلاق الخ حسن . ولكن على وجه لا يغفل عنه

قوام الدين واساسه وهو ايجاد الروح الدينية العالية والتقرب من
 الملاء الاعلى وتممير القلوب بالانوار الالهية والمعارف الوجدانية التي
 هي غاية الكمال لمربية الانسان والتي تقرب من الحق جل
 وعلا . وانت تجد اكثر القرآن انما جاء ليدعو الناس الى سعادة
 وراء هذه السعادة الدنيوية وكما لوق هذا الكمال الظاهر

هذا ولا بأس ان استعين بالمقارنة والتمثيل بالأئمة الحائزين لحصال
 الكمال والمشهورين بانواعها واقول ان العالم لا بد ان يكون في جرأة
 وعقل وفكر وحسن بيان مثل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده
 وذل وتواضع وخشوع وصلاح فضيلة الاستاذ الشيخ الشرييني

بل اقول ان العالم الكامل لا بد ان يكون في اقدم عمرو وحلم
 الاحنف وزكاء وإياس وتقوى ووجدان المجيد وبلاغة سحبان وعبد
 القاهر ونحو سيبويه وفلسفة ابن سينا وفقه أبي حنيفة الخ واقول
 ثانياً ان العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ما جمع الفزالي او
 يفوقه او يقرب منه واسأل الله الكريم ان يوجد بيننا علماء
 اقوياء كاملين يكون هذا حالهم وهكذا شأنهم انه سميع قريب

العلماء المحدثون

تهتم فئة كبيرة اليوم بالحصول على العالمية لانهم يتصورونها من موجبات الرفعة والعلو والجاه والشرف ومن اجل هذا تراهم متي جازوا الامتحان ظنوا انه لا كمال فوق هذا هذا الكمال وانه ان لهم ان يستريحوا من العناء ويبدلوا العمل والجد لعباً ولهواً حتى ان اكثرهم لا يوءدي الدروس ويشغل بالتعليم الا من باب تادية الواجب بحسب الظاهر ولهذا فهم لا يعينهم امره كأنهم ظنوا بما قبل الامتحان دار الشقاء وما بعده دار النعيم وجنان الراحة من عناء الاشغال الجسمانية والعقلية

وهذا بلا شك غلط كبير ونقص عظيم : اولاً لان منتهي ما يمكن ان يحوزه الطالب من المهارة في علوم الامتحان هو على الحقيقة لا يعطي صاحبه حق الكمال في العلم بل ذلك كله يعتبر دوراً اولاً وينزله تحصيل الشهادة الابتدائية في المدارس الاميرية يكون بعده نشأة اخرى ودور ثاني وثالث في العلم بمنزلة تحصيل الشهادة الثانوية فما فوقها فكيف واكثرهم قد لا يبلغ درجه التوسط في تلك العلوم

وثانياً لانه على فرض الاستكمال فان هناك من الواجب على العالم من نحو التعليم الخاص والعلم والارشاد ما ينبغي ان يكون عمله وجده فيه واشتغاله به اكثر من عمله وجده واشتغاله ابان التعلم . ولهذا فان نصيحتي اليهم ان لا يركنوا الى الراحة والكسل وان لا يغتروا بالنجاح في الامتحان وان يعلموا ان هذا وحده لا يعطي لصاحبه اسم العالم على الحقيقة وان نسبة النجاح في الامتحان الى ما يصح ان يعد كلاً في العلماء كنسبة ذرة الى دره وان لا يحرموا انفسهم من السعادة العظمى التي يفتح لهم بابها بالنجاح في الامتحان ويمكنهم التحقق بها اذا ادركوا ان زمن التعلم لم يمض فداوموا على الاشتغال بالعلم تتمياً في العلوم الازهرية وابتداء في غيرها مما هو لازم ثم جدوا غاية الجهد في القيام بواجب العلماء نحو الدين والامة

واضم الى ذلك نصحي بان هذا اللقب الذي نلناه لا يزال يناديننا بطلب التاهل له من وجهة الاخلاق والعمل . فان شهادة العالمية ليست من الشهادات الفنية ولا صاحبها يعد معلماً فنياً كمعلمي المدارس الاميرية مثلاً بل هي وصاحبها على الحقيقة اعلى من

ذلك وارفع . شهادة لا ينبغي ان تعطى الا لاهل العقول الراجحة لاصغار
العقول اهل الطيش من الشبان مهما كان زكائهم وتنورهم . ولا
ينبغي ان ينالها الا اهل الاخلاق الفاضلة وان لم يزيدوا عن درجة
التوسط في العلم . لالسيئي الاخلاق مهما كانت قوتهم في الاصول
والبلاغة والمنطق ولا يجوز ان يحرزها الا من يعرف قيمة الدين
واهمية مركز العالمية لا من يسعى في تحصيلها من جهة ان صاحبها
ييجل عند الناس ويحترم

وعلى الجملة فالعالمية وظيفة سامية تطالب الانسان بواجبات
كثيرة وحقوق جمة . ونحن معشر الشبان من العلماء رجالها وحملتها
الذين تعقد باعمالهم آمال المستقبل . فالواجب ان لانطيع شهواتنا
ونخلد الى الراحة واللهو ونكون صفاراً في الفعل كما نحن صفار
في السن . وان لاتبعد ابائنا فيما وجدناهم عليه ليجرنا ما وجدناهم
عليه . وان لانتق بافكارنا ونمشي وراءها في كل ما ندلنا عليه
قبل تخوين الفكر وامعان النظر ومزيد البحث وعظيم التروي
كي لاعدل عن طريق الحق ونضل ضلالاً كبيراً من حيث
لانشعر . وان ننظر الى سائر الاشياء في هذا العصر حيث قد

جرت كلها شوطاً بعيداً في التقدم والارتقاء تبعاً للسنن الكونية
 ليكون لنا منها عبرة وموعظة تبعثنا على التقدم . وان لا نزيد في
 هذا النظر من غير ان نعرف ما هو كمالنا على التحقيق فتسرع وننتقل
 من حالنا الاول الى ما ليس كمالاً لنا باسم التقدم والترقي
 ومجارات الاشياء في تقدمها وانقلابها فيكون حالنا من باب التقليد
 المضر الناشئ عن الاغترار وقصور النظر والثقة العمياء بالفكر .
 اقول قولي هذا واعتقد اني من اكثر الناس قصوراً وثقصيراً وانه لا احد
 احق ولا احوج مني لتصحتي هذه وغيرها والسلام

دعوة العلماء الى الاتفاق

لقد اجمع سائر العقلاء من سائر الملل على انه لاشيء اولى
 وانفع من الاتفاق . كما اجمعوا على ان السبب الظاهر لنمو الامة
 الاسلامية وانتشار الدين في سابق العصور والعامل في تلك
 الانتصارات الباهرة التي علت بها كلمة الاسلام في بدء وجوده
 انما هو الاتفاق . وانه ما اضعف الامة واخرها وفرقها ايدي سبا
 واورقها في الذل والهوان تحت الاحكام الاجنبية الا التفرق والاختلاف
 وعدم العمل بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

وقوله (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم
واصبروا ان الله مع الصابرين) وقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعاً است منهم في شيء)

وقد كان اكبر عامل في هذا التفريق الانتصار للرأي
وجعل الخلاف في المسائل العلمية والمذهبية مؤثراً على اصل
الوحدة وقاطعاً للعلائق الشخصية ومسبباً للبغض والكراهة . حتى
تفرقت الامة احزاباً وفرقاً وشيعاً (كل حزب بما لديهم فرحون)
ولان كان الاولون اندفعوا في هذا التيار بحسن نية مكونين مبادي
الخلاف والتفريق جاهلين بنتائج المهلكة وعواقبه الوخيمة فليس
من العقل في شيء ان نؤكد نحن الآن نيران هذا الخلاف والتدابير
والتخاذل والتحاقد والتخاصم بعد ما رأينا باعيننا وسمعنا بأذاننا
ولمسننا بأيدينا وذقنا مرارة عواقب الخلاف التي بها وصلنا الي ما
نحن فيه من الذل والهوان

ولأن كان الخلاف مضرّاً بين سائر الطبقات فليس اشد
منه ضرراً بين حماة الدين ورجال العلم وعلماء الارشاد . كما انه
ليس اغرب من وقوعه بينهم وهم ينبغي ان يكونوا اعلم الناس

هذا الخلف بينهم اشد خطراً على الجامعة الدينية منه بين
الملوك والسلاطين لانهم مصدر القوة العالية الروحانية وهي اعلى واصل
للقوات الحسية التي في ايدي الملوك . فمع اتفاق العلماء . يعدم خلاف
الملوك او يقل ضرره . ولكن من الاسف ان علماءنا اليوم تكاد ان
لا تربطهم الا رابطة الانتساب الي بقعة الازهر مثلاً

خلاف في العقائد . خلاف في المذاهب . خلاف في المشارب .
خلاف في المبادئ . . خلاف في الاخلاق . تحاقد . تحاسد .
تخاذل . نظر الي السفساف . لا يكاد يخلو مجلس لهم من دم
الآخرين . يبذل كل جهد الطاقه في رفع شأنه وتحقير غيره
والحط من كرامته . تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فلا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم

الم تكفنا تلك المحن . وواعظ . الم تكفنا هذه المصائب
عبراً . الم تكفنا تلك الدروس التي نلقينا فيها مضار الخلاف مدة
الف وثلاث مائه سنه . ما هذا الحال . ما هذا الانقلاب .
ما هذا الذهول . اهذه تعاليم دينكم . اهذه ارشاداته . اهكذا

يصح . اهكذا وصاكم الله ورسوله . تالله ان هذا لعار كبير ونقص
 ظاهر حقونا في اعين الناس حتى الاسافل وجلب علينا وعلى
 الامة اشد المصائب . وجعلنا منظورين بعين الازدراء والسخرية والمقت
 من الناس اجمعين

ماذا كلما قابل احدنا الآخر في مجلس او طريق نفخ كل
 كبرا واراد كل ان يعلو على الآخر ويفوقه وينظر الي الثاني
 نظر الاحتقار (اللهم الا في قليل الاحوال)

ما لنا كلما اجتمعنا يتصور كل منا لنفسه ناموساً وهمياً يحافظ
 عليه ولو بنصرة الباطل
 ما لنا كلما اجتمعنا كان همٌ كل ان يظهر على غيره فضله
 وعلمه . ما لنا يسيء احدنا ظنه في الآخر لاقبل حادث بل
 وبدون سبب . ما لنا يغتاب بعضنا بعضاً بحق او بدون حق

ما لنا نستعزيء ونزدري بمن يري انه يمكن ان نكون على
 احسن مما نحن عليه . ما لنا نتقدم ونتقرب الى كبرائنا بالنسيمة
 بينهم . ما لنا نتافق مع رؤسائنا فتي جلسنا اليهم وافقناهم ومتى
 فارقناهم ذمناهم . بل ما لنا نخاف منهم فلا ننكر عليهم في

مواجهتهم ما نراه غير موافق ولكن مع حسن النية وتمام
الأدب

ما لنا نرضى بتضحية المصلحة العمومية في سبيل المنفعة
الخاصة . ما لنا كل يعد غيره جاهلاً وأنه هو المتفرد بالعالمية .
ما لنا لا نتناصح ما لنا لا نتصافى . ما لنا لا نتواد . ما لنا لا نتحاب .
ما لنا لا نؤلف المجتمعات النافعة ونشرع في المشروعات المفيدة لنا
وللأمة . ما لنا لا يشد بعضنا أزر بعض . ما لنا لا يحس أحدنا
بالواجبات التي لأخيه وللأمة عليه . ما لنا نجدنا على حال واحد
فلا نرضى سواها وإن كان حقاً . ما لنا لا نحسن النظر وتأخذ
من كل شيء أحسنه . ما لنا نكره الإصلاح وإن كان لنا فيه
تمام العز والشرف . ما لنا لا نتحقق بالخصوع والتذلل والتواضع
وهي أصول الخير وأسباب الفلاح . ما لنا متى رأينا غيرة لبعضنا
أحبينا أن نظهر . ما لنا يحقر كثيرنا صغيرنا وصغيرنا كثيرنا .
ما لنا لا نسعى في إعلاء كلمة الله وترقية امتنا وإصلاح مقاسمها
ما لنا ما لنا ما لنا ولم ألف ألف مرة أقول ما لنا . السنا نخاف
الله . السنا نخشى العقاب . السنا نتعاسين امام الله . اليس مرادنا إلى

الله . لاحول ولا قوة الا بالله . تالله ان الدنيا بمخاديفها لأحقر
من ان تفرق بين اثنين من المسلمين يخافان الله ويعلمان ان
الدنيا لاتدوم وان الاشياء كلها فانية

اما نعلم ان الشعور الديني كاد ان يتلاشى من نفوس كثير
من المسلمين خصوصاً المتورين واهل الطبقات العليا . اما نعلم
ان تيار التمدن الاوربي وسيله الجارف قد حزح امور الدين
الثابة واخذها امامه لجهل الناس بان التمدن لاينافى التدين
اما نرى ونبصر ان الدين قد انحاز باهله وصار يعتبر من الاحوال
الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف الازواق .
اما نعلم ان الامة واقعة الآن في بيداء جهالة مظلمة ما بين
اعتقاد عثمائد مضلات بل مكفرات . وما بين اعتقاد خيالات
وخرافات واتباع شهوات . اما نعلم ان الامة قد لامست قلوبها
مقدمات المباديء التي تعدها لخناع ربة الدين وحلت في
صدورها طلائع مكروبات الجحود الزاحفة . اما نعلم ان اعداء
الدين يستعملون كل حيلة في سبيل تصير المسلمين ويبدلون
في ذلك النفس والمال . اما نعلم ان شبيها كثيرة وكتباً جديدة

تشر كل يوم في الطعن على الاسلام والرسول . اما نعلم ان هناك اقواماً يبذلون جهودهم في ان يترك المسلمون الاسلام ويعتقدوا ديناً جديداً وقد البعهم كثيرون من المسلمين في غير هذه البلاد . اما نعلم ان الامة خذلت وضاعت وتفرقت في ايدي الاجانب كالسبي

كل هذا لانفكر فيه ولا نحس به ولا نتألم منه ولكننا نشغل من العلم بتحقيق بعض معاني خياليه لاثارها في الخارج ثم يكون الامر المهم والشغل الشاغل (انا مستحق كسوة تشریف . انا مستحق النقل . لماذا فلان باخذ بدل كسوة وانا لا . لماذا ينقل للدرجة الاولى وانا لا : فلان جاهل . فلان وقح . هل طلعت اليوم عند المفتي . انا طلعت . ذهبت اليوم لزيارة شيخ الجامع . ماذا عملوا اليوم . سيقبلون كيان الازهر . شيخ الجامع لا ينفع . فلان بتداخله تحصل على كذا . الشيخ فلان يكره فلان . فلان محسوب المفتي . فلان محسوب الشيخ . فلان رجل بطل . فلان رتب في جامع كذا . فلان عطل على فلان) الى غير ذلك من الامور التافهة المحزنة التي تدل على ما تدل عليه

ولهذا فهاذا المسكين اتجار وادعوا جميعاً باسم الله الى
 المحبة والصفاء والاتحاد والتعاون والاتفاق وعدم الاعتناء بتافه
 الامور وعدم تقديم المصلحة الشخصية على العامة وعدم الايذاء
 والغيبة وطالب الكمال من اوجهه الحقيقية والحرص عليه والانتفات
 نحوه والتنافس فيه وعدم الجود على حال معين وعدم الاستبداد
 بالفكر وان لا تنظر الى الشخصيات بل الى الميزان النوعي الذي نصير
 به نوعاً واحداً بازاء انواع كثيرة وفرق متعددة من الناس
 وادعوا كهراثنا وعظمائنا ورؤسائنا الى القيام بهذه الدعوة
 وتأييدها بالتنازل وحسن التاليف وعقد المجتمعات وبذل النصيح
 والتحبب للاصاغر والاكابر والتجاوز عن السيئات والكف عن
 الغيبة وجميع الطرق الممكنة فان مقامهم يسمع وامرهم يتبع وحالمهم
 يقتدى به وهم اولى الناس بذلك والله ولي التوفيق

نوال العالمية

علمنا مما تقدم ان العالمية حمل ثقل وامر خطير ووظيفة
 سامية وامر عال لا ينبغي ان يعطى جزافاً ولا ان يجاني فيه .
 واذا كانت الاشياء كلها يعد من النقص الكبير عدم اعطاءها حقها

واسنادها لمن لا يستحقها فان شد النقص نقصاً واكثر التهاون ضرراً
اسناد العالمية لغير اهلها لان في ذلك خطراً على الدين . اذ
العلماء اصله وحماته وحراسه ودعائه التي يسند اليها بل اساسه
الذي يبنى عليه والخطر لا يأتي على الملك الا من ضعف حاميتها
ولا على الملك الا من عدم كفاءة حراسه والخوف على الهيكل
القائم يكون من جهة دعائه واساسه الذي يقوم عليه

اني لا اجد ارتباطاً بين شيئين ولا امراً له دخل في جميع
اجزاء الآخر ولا سبباً يتوقف عليه وجود المسبب اكثر من هذه
المعاني بين كفاءة العلماء وقوة الاسلام وعلو كلمة الدين وتقدم
المساعين . كما اني من اجل ذلك لا اجد امراً احق بالعناية
والتروي والتحفظ والتأمل وامعان النظر اكثر من اسناد منصب
العالمية الى طالبه

ولذلك فاني انمض عيني عمداً لكي لا ارى اشتمزاز وغضب
بعض العلماء والطلاب واقول موجهاً وجهي للحق ان طريقة الامتحان
الآن متوجهة وغير كافية بل وموءديه الى ضرر بين وانحطاط
شديد وفساد ظاهر

وبيان ذلك ان هذه العالمية ليست مأخوذة بالمعنى اللغوي حتى يكفي فيها مجرد العلم كما انها ليست من المعاني الاصطلاحية حتى يكفي فيها مجرد المواضع والاصطلاح على ان من كان كذا فهو عالم ومن لا فلا . وانما هي منصب الرئاسة الدينية والوراثية لمقام النبوة والقيام بخلافة ما كان يقوم به سيدنا الرسول من واجب الهداية والارشاد

فهي لهذا لا يكفي فيها علم ما . ولا كمال العلم فقط . بل لابد ايضاً من الكمال في الاشياء الاخرى الميينة في باب كمال العلماء

ولكن الجاري الآن انهم يكتفون بعلم دون القدر اللازم ويحملون ما عدا العلم من الواجبات الاخرى التي لابد منها وضرورة العالمية اليها كضرورة الشيء الى نفسه او جزئه . فالكلام اذاً في امرين الاول اهمال ما عدا العلم من الامور اللازمة والثاني الاكتفاء في العلم بما لا يكفي

اما الاول فمن الواجب ان الطالب لا يكون غافلاً الا اذا تحقق من كمال استقامته . وحسن سيره وسيرته . ووفور عقله .

وحسن خلقه . وعلو همته . وعدم جبنه . وعدم جموده . وعدم
جراته على انتهاك الحرمات . وعدم كذبه . وعدم تمسكه بالعادة
وعدم طيشه . وعدم ثقته بفكره . وعلمت عقائده . وامباله . ومشربه
وانه الى اي غايه يرمي . وعلى اي مبداء يسير . الى غير ذلك
من الامور التي يجب تحققها في العالم من حيث هو قدوة للامة
وامام الناس وصاحب الارشاد وتهذيب الاخلاق واصلاح الفاسد
وهدايه الضال واقرب الناس الى صاحب الشريعة (بحسب ما
يجب لا بحسب ما هو موجود)

ولكن مما يوجب الاسف انهم اليوم يهملون هذه الاشياء
اهمالاً كلياً ولا ينظرون في الحقيقة الا لمجرد الاجابه فيما اعتادوا
ان يسألوا فيه من مسائل العلم . وفي ذلك الخطر المحقق على
العلم والدين والامه وكيف لا وليس في تعلم المدارس الدينيه ولا
نظامها ضمانه للاستقامه ولا حسن الاخلاق ولا شيء مما تقدم
بل ليس فيه ضمانه للقدر المطلوب من العلم في الامتحان الآن
ايضاً . الا ان هذا يحصله عدد اقل من الواحد في المائه من
الشبان الازكياء بجدهم واجتهادهم . ولكنهم في غيره على حال

المسألة والاتفاق الأولي

ليس من العجيب أن يبلغ التباين في إعطاء منصب العالمية إلى حد أن يأتي الطالب أمام لجنة الامتحان وهو غير معلوم أصلاً ليأدي الدروس المعينة له من غير أن يعرف هل هو من الفاسقين أو المتقين . من الزائغين في الاعتقاد أو من المعتدلين . من غير أن يعرف مبدأ ولا مشربه . من غير أن يعلم هل هو سيجلب للعلماء فخراً وشرفاً عظمياً أو سيورثهم بفعاله عاراً وصغاراً لا يحسن مدى الأبد . ليس من العجيب أن هذه الزمر من الشبان الذين نشأوا أمراء نفوسهم وقوادها إلى خير أو شر والذين لم يذوقوا طعم التربية ولم يحسوا بالواجب الإنساني فضلاً عن الديني ولم تسموا مدرّكهم ولم تستكمل عقولهم ولم يعرفوا العالمية قيمة إلا أنها ذلك الشيء الذي يورث الانفة والاستكبار وانتهاء التعلم وكون الإنسان أهلاً لأن يحترم عند أبناء جنسه وامثاله وتقبل يده من صغار التلامذة المتعلمين . يدخلون الامتحان وبكل سهولة تعطى لهم الدرجات العالية متى وجدوا تابعين في فهم مسألة الامر بواحد أو مسألة مطلق المقدور . والايراد المذكور

أنا لا أريد أن تكلم عن أن الذين دخلوا الامتحان كاملين
 من هذه الوجهة أو غير كاملين وإنما أريد أن أقول أن طريقة
 الامتحان ليس فيها أدنى ضمانات لتحقيق الكمال وأنه على فرض حصوله
 فهو من باب الصدفة والمشيمة مقتصرة على كل حال
 أنا لا أرى خطراً أكثر من ترفية من لا يستحق خصوصاً من
 هذه الوجهة . ولأن يكون العالم ضعيفاً في المعلومات كاملاً من هذه
 الجهة خير من العكس

أنا لا أنكر أن معرفة الحقيفة في هذه الأمور صعبة وربما
 أدى البحث إلى تأخير بعض المستحقين . ولكن أرى هذا أهون
 من إعطاء العالمية لأحداث أو شيوخ من أهل الصفات البهيمية
 الأخلاق الحيوانية ممن يجلبون العار للإسلام بل ممن يعملون لمحو
 ولدين من حيث يشعرون أو لا يشعرون

قد يكون في طلاب الامتحان أهل الجهل المركب (في غير
 مسائل الأصول والنحو وغيرها من مواضع الامتحان) وأهل الثقة
 والغرور بالفكر الذين متى صاروا من العلماء بثو مبادئهم الخبيثة
 بين الناس

قد يكون من طلاب الامتحان اهل الجود الذين يقفون عقبة في طريق كل تقدم . قد يكون منهم اهل الصفات الدنيئة الذين يحطون من قدر العالمية والعلماء

قد يكون منهم اهل الرعونة والطيش وسوء الخلق بل وسوء الاعتقاد . . . الخ الخ الخ

ولهذا فاني ارى انه لا بد من التشديد في ذلك وان المسئولية في هذا على المشيخه الازهرية التي يجب ان تخصص شطرا عظيما من اعمالها لامثال هذه المباحث ومثال هذا التحري

ولاجل ذلك فلا بأس من تقليل عدد المتحنيين ان دعت الضرورة فان الكثرة على هذا الوجه مضرة والعاملون عليها انما يعملون لاتساع الخرق واعضال الداء ويفتحون بابا يدخل منه المصوص والسفلة الى اعلا المقامات واشرفها . وواحد كالف . والف كل شيء . . ويكاد يكون هذا هو المحقق اليوم

ولا يتوهم احد ان الشهادة في الازهر كالشهادة في مدارس الحكومة مثلا تعطى لكل طالب نابغ في العلوم فان تلك شهادة فنية المدار فيها على العلم اما هذه شهادة رئاسه دينيه لا بد فيها

من العمل مع العلم

ومن هنا يمكنني ان اقترح انه اذا لم يمكن الجري على ما رأيت أولاً فليجعل هذا الامتحان فنياً ولا يدخل فيه من شاء من الطلاب ولكن على شرط ان لا يعطى فيه لقب (عالم) بل (مدرس) مثلاً فيكون هناك مرتبتان ولا يرقى الى العالمية الا الواحد بعد الواحد ممن توجد فيهم الكفاية والاهلية بقطع النظر عن التقدم في السن او طول مدة التدريس

وهناك من الواجبات الاخرى (احسان التعليم) وبديهي ان ذلك لا يستلزمه الكمال في العلم وهو مع ذلك من اهم المهمات التي يترتب عليها سعادة الطلاب او شقتهم فمن الواجب ملاحظة ذلك في اعطاء العالمية ولا بأس ان تعتبر هناك درجات متفاوتة في التعليم حتي يكون هنالك من يحرز الدرجة الاولى في العلم والثانية او الثالثة في التعليم وان يعتبر لهذا المعنى امتياز آخر

واما الامر الثاني وهو الاكتفاء من العلم بما لا يكفي فذلك من وجهين احدهما الاختصار على بعض العلوم والثاني الاختصار فيها على ما هو اقل من اللازم . وبديهي ان العالم لا بد له من

شيئين . فكر وقاد . ومعلومات كافية . ولكن يظهر انهم اليوم لا يعولون الا على اصل التمييز والفكر بقطع النظر عن المعلومات حتى انني سمعت من ان افاضل علماء الامتحان انهم يكتفون بان يقرروا الحق للطالب فان امكنه ان يعيده كما قلوا كان من الناجحين . وهذا غلط بين بل الواجب ان لا يكتفى باصل الذكاء بل لابد ان يكون فيه متوسطاً على الاقل . ثم المعلومات لابد منها لانها هي التي تفصل العالم عن غيره من سائر افراد الامة المتنورين . وما اجدر العالم الذي لا تكون عنده المعلومات الكافية بان يسمى (عالم المراجعة) وان يسكن المكاتب العمومية ولا يخرج منها لكي لا ينسلخ منه معنى عالم

ولذلك ادى ان يكون من شرائط النجاح ان يحفظ طالب الامتحان في كل علم متناً متوسطاً على الاقل يفهمه ولو فهماً بسيطاً وليكن من ذلك القرآن فلا بد من التأكد من حفظه ولا بد من العناية بالتفسير بحيث تكون اقل مراتب النجاح فيه ان يسئل عن المعنى البسيط لكل آية فلا يتأخر . وكذا لابد من العناية بالحديث . فلا بد من معرفة المصطلح ومن التأكد من

انه اكثر الاطلاع على كتب الحديث . ولا بد ان يحفظ متن
 مائة حديث من جوامع الكلم والاصول الكلية على الاقل .
 وفي علم الاصول لابد من الافاضة في بيان مدارك المجتهدين
 على الوجه المقبول وترجيح احدها بادلة معقولة . وفي النحو والصرف
 لابد من التاكيد من انه لا يلحن ولا يغلط وانه يمكنه قراءه العربية
 على البديهة بلا لحن والتكلم بها كذلك . وفي البلاغة لابد من
 عرض آيات وجمل من الكلام عليه لبيان ما فيها من نكات البلاغة .
 وليفض في بيان ما فيها من اوجه الحسن التي يقبلها الذوق
 وما في غير الآيات من ضد ذلك ان كان . وليكن هذا كله
 بعبارات بليغة مؤثرة . وفي المنطق لابد من التاكيد من ان له
 فيه ملكة يمكنه بها ملاحظة اصوله فيما يستعمل فيه فكره بسهولة .
 وفي التوحيد لابد من التاكيد من الاطلاع على كثير من الاراء
 والمذاهب الفلسفية وغيرها ومعرفة تاريخ مذاهب التوحيد . ولا
 بد من عرض مسائل خلافية عليه ليقرر رأيه فيها بقطع النظر
 عن المكتوب . كما ان لابد من حفظ متن تهذيب الكلام
 على الاقل

وفي الفقه لابد من التاكيد من الامام بفروع مذهبه على الاقل
بحيث يمكنه ان يفتي كل من يستفتيه بالحق اما العلوم اللازمة
زيادة عن هذه فهي بقية العلوم المبينة في (باب العلوم) فلا بد
من التاكيد من الامام بالمقادير اللازمة منها الموضحة هناك
ايضاً

وقبل النهاية لابد ان انبه على وجوب الاختبارات العمومية
التي يعلم بها الاطلاع والتنوير العام والفكر المعتدل والنظر السليم
كما انه لابد من التاكيد من الجراءة وقوة الانشاء والتأثير بالمبارة
والخطابة الخ الخ والله ولي التيسير

مرتبات العلماء

اذا قيل للبؤس اين تسكن فلا شك انه ينحصر بيوت
العلماء المدرسين بالاشاره . واذا قيل للفقر وسوء الحظ من ترافقان
اشارا الى العلماء . اي نعم هم التعساء البؤساء اهل ضنك العيش
والفقر المدقع . هم افقر الناس واشدهم احتياجاً . في حين انه كان
ينبغي ان يكونوا من اغني الناس واهداً لهم بالاً من جهة حاجيات
المعيشة . ذلك لانه لاشيء احوج الى صفاء الفكر وراحه البال

وعدم الاشتغال بأمور المعاش من العلم والاشتغال به . وفي ذلك من الامثلة ما هو كثير مشهور . روي عن ابي يوسف ان جاريته قالت له يوماً وهو نازل فرغ الدقيق فدهش ولم يدر اصاعد هو ام نازل وذهبت من فكره كذا كذا مسألة من اصول العلم ولم تعد له . وحكوا عن الامام الشافعي لو كلفت بملح الطعام ما ما تعلمت العلم . وقد لاحظت الشريعة ذلك وان المجتمع في اشد الحاجة اليهم ففرضت لهم الكفاية من بيت المال . الا انهم اليوم لهم حال يبكي العقلاء ويضحك السفهاء . حال لا يرضاه سواهم ولا يعيش به غيرهم . حال لا ادري اأأخذ عذراً في عدم قيامهم بالواجب عليهم (كما يقولون) ام اقول انه جزاء من الله على تقصيرهم ام اقول انه بلاء ابتلاه الله به

اعل كثيراً من الناس لا يعلمون ان العلماء في مراتبهم لا يساؤون الفعلة وخدمة البيوت وان ما ياخذونه من المدارس لا يقوم بحاجة اقل انسان اذا كان مع زوجته فقط ولكن العالم قد يكون في عائلة تبلغ العشرين

تالله ان ذكر مراتبهم مخجل وربما نقصهم في اعين من يرى

ان قيمة الانسان على قدر مرتبه وهو الذكر السايد عند اكثر الموظفين ولكن لا بد لي ان اقول ليلتمس الناس لهم عذراً وينظروا اليهم بعين الرحمة والشفقة

اقول مراتب مع ان الامر اهون من ذلك واحقر (٧٥) غرثاً لعلماء الدرجة الثالثة و (١٠٠) لعلماء الثانية و (١٥٠) لعلماء الاولى وقليل ما هم . وقد توجد زيادات لقليل من العلماء قد لا تتجاوز الخمسة جنيهات . هذا في الازهر اما علماء الجامع الاحمدي فلم يكن لهم شيء الا شيء قليل من فضل الصدقات الواردة في المقام الاحمدي وقريباً رتب لهم مراتب هكذا * (٤٥) غرثاً لاهل الدرجة الاولى و (٣٥) للثانية و (٢٥) للثالثة . ومما يحسن ايراده هنا ما حكاه لي بعض العلماء حيث قال قسمت مرتبي الشهري على الدروس التي القاها في الشهر نقص الدرس الواحد اثنين مايلاً

فاني شقاء وبلاء اكثر من هذا الحال وكيف يتسنى للعلماء معه القيام بالواجب ولماذا لا يتعلمون صفات النقص ولماذا لا يشتركون بايات الله ثمناً قليلاً ولم لا يكذبون و يخضعون للحكام ولم لا ينملقون

وينافقون ويتواضعون في غير موضع التواضع وكيف يمكنهم مع
هذا التدريس واثقان التعليم والأرشاد

تالله ان من يتأمل حالهم يعلم انهم في عمل شاق وعيشة
ضنك واحوال لا تجمع الا لهم ولا يرضى بها سواهم

كيف يجوز ان يكون اصغر المعلمين في المدارس الاميرية
وسواها لا يقل مرتبه عن اربع جنيهات ويكون للعالم
جنيه واحد في حين انه اعلم منه ويؤدي للامة خدمة كبرى
ويشتغل في الدروس اكثر من كل معلم في المدارس . انا لا ادري
مع هذا كيف يتحملون هذا الحال السيء ولا يخرجون ليكونوا
من معلمي العربي مثلاً في المدارس الخارجية ليساوا في
المرتب من هو اقل منهم لاشك ان الصبر على ذلك من اعظم
ما يمدحون عليه وينبغي ان يدعوا الى النظر اليهم من اولياء
الامور

كم من رجل زكي عالم فاضل انقطع عن العلم واشتغل بالزراعة
او التجارة لانه يعلم ان مراتب الازهر لا ينفعه ان هو اشتغل
وصابر حتي ينال درجة العالمية

كاد الفقر ان يكون كفراً . لو رأى الانسان العلماء وتهافتهم
على صفار الوظائف من نحو خطبة وامامة ومقراءة وما يبذلون
من ضروب الضعة والخضوع والنذل في طلب امثال هذه الوظائف
لعذرهم وعلم ان ذلك نتيجة الاحتياج . لو رأى الانسان العلماء وتزلفهم
لبعض الاغنياء وارتياحهم لباخذوا من بعض الصدقات واقبالهم
على تناول ما يسمونه (اسقاط صلاة) ورضاهم بجران رسومه عليهم في
المحافل العامة فينبغي ان يعلم انهم ما دفعهم على ذلك الا مزيد
الفقر وعظيم الاحتياج

العلماء لا بد لهم من الثخوة والشهامة وعدم النظر الى كبير او
صغير وهذا يستحيل ان يكون مع الفقر . العلماء اذا لم يكونوا
في سعة لم يمكنهم ان يرفعوا اصواتهم بالحق

لو تأمل العاقل عيشة العلماء وجدها عيشة مرة فان اكثرهم
لا يتمكن من احضار زوجته واولاده لمصر او طنطا مثلاً بسبب
فقره ويظل هكذا طول عمره محروماً من التمتع بروية اولاده الا
في المسامحات ومع هذا فمتى جاء وقت المسامحة وجدته في ضيق
وحيرة لانه يجب ان لا يرجع لاهله الا بنفقة وكسوة ولكن من

اين يتحصل على هذا ومرئيه غير واف باصل المعيشة . فلماذا هو
 لا يهتد له بال ايضاً في الايام التي يمضيها مع اهله في بلده خصوصاً
 وامراته لاتزال تنكد عليه بسبب ذلك الشقاء الذي اوقعها فيه
 يد الاقدار ولا تزال تطالبه باشياء يعجز عنها . العالم اذا قدر الله
 له ان يوظف اماماً او خطيباً او في مقراًة ليتحصل على ثلاثين
 غرساً مثلاً فيضمها الى ماهيته وبأتي باهله الى مقر تدريسه عاش
 معهم مرة العيش وذاقوا جميعاً من آلام الضيق ما لا يصبر عليه
 احد وربما كانت عائلته كبيرة فلا يكادون يشبعون خبزاً ثم
 هو لا يزال في شغل شاغل من اجل قضاء مصالح البيت ولوازمه .
 العالم قد يظل طول يومه مع الناس او في الجامع يتشاغل ولا
 يذهب لبيته لان هناك امراته تطالبه باشياء كالتي اتى بها زوج
 جارتها وهناك بنته وابنه يطالبانه باشياء كالتي يأتي بها الاباء
 لابنائهم وهو لا يملك شيئاً من الدراهم وربما كان لا يقدر على
 سؤدال الناس ولا يزال ينتظر فرجاً يأتيه من دعوة تاتي به لقراءة
 البخاري او لحضور اسقاط صلاة او استفتاء في مسألة زوجية
 او طلاق وقد يلجئه الاضطرار في هذه الحالة لان يفتي على اهواء

من استفتوه بضروب من التمحلات والتأويلات طمعاً في نوال
شيء منهم على رأي القائل من متقدميهم (نحن مع الدراهم قلة
وكثرة)

العالم ربما يمكث في الجامع يدرس طول يومه ويستهزئ
للقوت اليومي وليس معه ما يفي به
فأي حال اسوأ من هذا الحال وأي عيشة أشد ضنكاً
من هذه العيشة وأي عذاب أكثر من هذا العذاب

تالله اني كلما تذكرت هذه الاحوال كدت اتقطع اسفاً
وتحسراً على سادتي وحزبي وابناء جنسي من افاض اساتذتي واخواني
الذين لاراحة لي الا في راحتهم وعلومهم وكلامهم ولا يهتأ لي حال
الا ان اجدهم في بسطة من العيش واعلى مرتبة من مراتب
الكمال (اما انا فعندي والحمد لله ما يكفيني) فلأجل هذا ارى انهم
يستحقون النظر والشفقة من الحضرة الخديوية ومن اغنياء المسلمين
وان هذا الاصلاح والكمال الذي انا بصددده لا يمكن ان يتم
الا بالمساعدة المالية وخير ما تصرف فيه الاوقاف الخيرية مثل
هذا الاصلاح